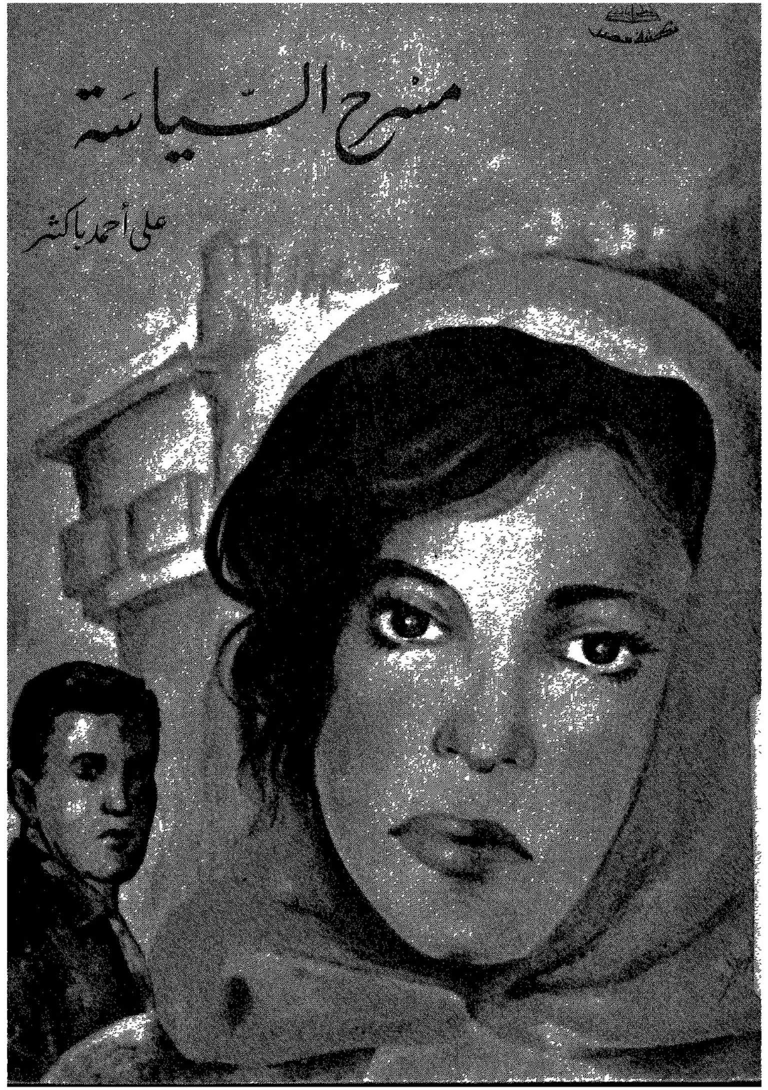

مسرح السياسة
علي أحمد باكثير



مسرح السياسة

تمثيليات سياسية

تصوير فني للكفاح العربي الإسلامي ضد الاستعمار

تأليف

علي أحمد باكثير

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« ويوم تقوم الساعة يُبْلس المجرمون . ولم يكن
لهم من شركائهم شُفعاء وكانوا بشركائهم كافرين »

« قرآن كريم »



تقـــــدمة

ألح علىّ كثير من إخوانى الاعزاء ممن قرأوا التمثيليات السياسية التى كنت أنشرها على صفحات جريدة « الإخوان المسلمون » الغراء فيما بين (١٩٤٥ و ١٩٤٨) أن أجمعها فى كتاب ليستعيدوا قراءتها ، وليقرأها من لم يطلع عليها من قبل ، فلم يسعنى إلا النزول على هذه الرغبة الـكريمة .

ولما كان من المتعذر جمع تلك التمثيليات كلها فى كتاب واحد ، إذ يبلغ عددها زهاء خمسين تمثيلية ، فقد اقتصرت فى هذا الجزء على بضع عشرة منها ، مؤملا أن أتمكن من نشر الباقى فى أجزاء أخرى إن شاء الله .

وسيرى القارىء أن هـذه التمثيليات وإن كانت مستوحاة من ظروف وحوادث قد صارت فى ذمة الماضى ، إلاّ أن مغازيها والقيم التى ترمز إليها فى محاربة الاستعمار بشتى صوره وألوانه ، ومن جميع دوله وأعوانه ، باقية كما هى على مدى الأيام . فضلا على القيمة الفنية لهذا اللون الجـديد من أدبنا التمثيلى الساخر مما أكل الحكم فى ذلك للقارىء نفسه ؟

المؤلف

السكرتير الأمين

(١)

في منزل سكرتير هيئة الأمم المتحدة بليك ساكسس

(يعود السكرتير إلى منزله فتستقبله زوجته لتساعده على خلع معطفه ولكنه لا يلتفت إليها بل يهرول إلى غرفته الخاصة حيث توجد خزانته الحديد)

الزوجة : (تجري خلفه) ماذا بك ياعزيزي ؟ ألا تدعني أخلع عنك معطفك ؟

السكرتير : دعيني أولا أودع ما عندي في الخزانة ثم افعلي ما بدا لك .

الزوجة : (تتضاحك) إن من يراك على هذه الحال يحسب أن لصاً كان يطاردك ليسرق نقودك .

السكرتير : هذه هي الحقيقة ياعزيزتي فقد كنت أمشي بين الناس والناس جميعاً لصوص !

الزوجة : ليس في جيبك إلا المصروف اليومي ، فلو جرؤ أحد على اختلاسه ما اختلس شيئاً ذا بال .

السكرتير : (بصوت خافت) كلا بل جئت معي براتب الشهر .

الزوجة : اليوم ؟ لم يجيء أول الشهر بعد فكيف قبضت راتبك ؟

السكرتير : قد اتفقت معهم على أن يسلموني راتبي قبل أول الشهر بيومين على سبيل الاحتياط ، لأن النشالين يختارون أول الشهر للقيام بغاراتهم

(يخرج الأوراق المالية من جيبه ويعدها متوجسا ليودعها في الخزانة)

الزوجة : عجباً لك ياعزيزي . تحتاط هذا الاحتياط الشديد ثم لا تودع أموالك هذه في أحد البنوك فذلك أحرز من هذه الخزانة .

السكرتير : أتريدين ياعزيزتي أن تعرفي كل سر من اسراري ؟

الزوجـة : ما دام السر لا يتعلق بامرأة أخرى فما يمنعك من إطلاعى عليه ؟

السكرتير : فاعلمى انني أودع راتبي الشهرى هنا . أما البنوك فأودع فيها ما يأتينى من وراء ذلك . وهذا من باب الاحتياط أيضاً دفعاً للريبة .

الزوجـة : أف لك ! أوقعت في شرك إحداهن ؟

السكرتير : ماذا تقولين ؟

الزوجـة : (متمعرة الوجه) قد أنذرني قلبي بهذا من قبل !

السكرتير : إني ما فهمت شيئاً مما تقولين .

الزوجـة : لا تتجاهل قصدى !

السكرتير : (غاضباً) ياهذه وضّحى لى فانى والله ما فهمت .

الزوجـة : بلغنى حين قدمت إلى هذه البلاد أن فيها مليونيرات مغرمات بالاتصال بأرباب الشهرة من الرجال ينفقن عليهم من أموالهن !

السكرتير : يا لغيرة النساء أما تعلمين أنى رجل مشغول من فرقه إلى قدمه فأنى يتسع وقتى لمثل هذه المغامرات السخيفة ؟

الزوجـة : فقل لى من أين يأتيك « ما وراء ذلك » ؟

السكرتير : أوثر ألا اثقل قلبك بكتمان هذا السر .

الزوجـة : (بلهجة قاطعة) إن لم تخبرنى به صدّقت ما أنذرني به قلبى .

السكرتير : أوه . . هذا شيء لا يطاق !

الزوجـة : لا أعفيك من البيان فما جئت إلى أمريكا لأخسر فيها زوجى !

السكرتير : أقسم لك بأنه لا يأتينى من طريق امرأة .

الزوجـة : فمن طريق رجل ؟

السكرتير : نعم .

الزوجـة : من هو ؟

السكرتير : أوه . . . ألا يكفى أن تعرفى أنه رجل فحسب ؟

الزوجـة : من هو ؟ اذكر لى اسمه ،

السكرتير : موسيه شرتوك . . أفاطمأننت الآن ؟

الزوجـة : لا !

السكرتير : عجباً .. ألم تسمعى قط بهذا الاسم ؟ أتخشين أن يكون صاحبه امرأة ؟

الزوجـة : بل أخشى أن يكون همزة وصل ، فإنى أعرف هؤلاء اليهود . . .

السكرتير : هس . . . اخفضى صوتك . آه لو علموا أن زوجتى تحمل هذه الروح اللاسامية لقُضى على مركزى ومستقبلى !

الزوجـة : إنك لا تفكر إلا فى مستقبلك . . ومستقبلى أنا ؟

السكرتير : قد بينت لك الآن أن مستقبلك فى أمان .

الزوجـة : أتنكر أن هؤلاء اليهود يقدمون . . .

السكرتير : (مقاطعا) كلا ولكنى لست من أولئك الرجال الذين تفتنهم هذه الأمور التافهة . أنا لا أقيم وزنا إلا للمال . ثم ماذا يدعونى إلى ما ظننت وعندى من جمالك ما يغنينى عن تلك الهنات ؟

الزوجـة : انك تخادعنى وتداورنى بإطراء جمالى عما نحن بصدده !

السكرتير : ما هو هذا الذى نحن بصدده ؟

الزوجـة : لعلك نسيت أنك حدثتنى ذات ليلة أن هـذا الرجل كان يقيم لبعض مندوبى الدول سهرات حمراء .

السكرتير : أى بأس فى ذاك ؟ فهل حدثتك أننى كنت أشهد تلك السهرات ؟

الزوجـة : ما كنت لتعترف لى بمثل هذا .

السكرتير : مخطىء من يحدث زوجته بما لا يعنيها من أخبار الناس فتتخذه سبباً للاسترابة والتشكك !

الزوجـة : هل ندمت الآن على أن وضعت فى يدى أدلة اتهامك ؟

السكرتير : أى اتهام ياهذه وأية أدلة ؟ لقد صدعت رأسى .

الزوجـة : كفى دليلا عليك اتصالك بهذا الرجل !

السكرتير : أؤكد لك أن اتصالي به في أمور سياسية ومالية ليس غير .

الزوجة : ما يؤمنني ألا يكون شيء آخر وراء ذلك ؟

السكرتير : من حسن الحظ ياعزيزتي أن موسيه شرتوك هذا سيزورني هذا المساء ففي وسعك أن تتسمعي لما يدور بيننا من الحديث إن شئت .

الزوجة : إذن فاستقبله في هذه الحجرة حتى أتمكن من سماع حديثكما من حجرة نومي .

السكرتير : (يقفل الخزانة) لك ما تريدين على شرط ألا تبوحي لأحد عما تسمعين من الأسرار . . . السياسية والمالية طبعاً !

الزوجة : فيم هذا الاشتراط ؟ ألا تراني أهلا لكتمان الأسرار ؟

السكرتير : بلى ياعزيزتي ولكن النساء كما يقولون ميالات إلى الثرثرة . . . فذكرت هذا الشرط من باب الاحتياط . .

(٢)

السكرتير يستقبل موسيه شرتوك .

السكرتير : أهلا بك ياسيدي . . لا تؤاخذني إذ لم أستقبلك في حجرة الضيوف فإني آثرت هذه الحجرة الخاصة من باب الاحتياط لئلا يتسرب حديثنا إلى مسمع أحد .

شرتوك : هل في المنزل أحد من الأجانب ؟

السكرتير : لا ليس فيه غير زوجتي وأولادي ، وكان في وسعي أن أستقبلك في حجرة الضيوف ولكني آثرت هذه من باب الاحتياط ياسيدي . . من باب الاحتياط فقط .

شرتوك : أشكرك ياسيدي .

السكرتير : هذه حجرة خاصة لا أستقبل فيها أحداً من الضيوف ، ولكنك ياسيدي قد أصبحت من أخلص أصدقائي ولم تعد بيننا كلفة . . بل يمكنني أن أعتبرك الآن واحداً من أفراد الأسرة . . إن كان هذا لا يضايقك بالطبع .

شرتوك : هذا لطف كبير منك . وإنى باسمى وباسم الوكالة اليهودية وباسم المجمع الصهيونى العام أقدم لك أخلص آيات الشكر والحمد .

السكرتير : (يتنحنح) لعلك يا سيدى جئتنى بشىء معك !

شرتوك : لا تعجل يا سيدى فلم نتحدث فيما جئت من أجله بعد .

السكرتير : معذرة يا سيدى ، حقا ليس من اللياقة ولا الكياسة أن أبدأك بهذا ولكن يشفع لى أننا فى هذه الحجرة . (مشيرا إلى الخزانة) انظر ! إننى قد أنتظر ولكن هذه الملعونة لا تنتظر ! (يتضاحك) .

شرتوك : أعتقد أنها مدينة لنا بنصيب كبير مما تحتويه، وأنها لذلك تثق بنا أكثر مما تثق بغيرنا ، وأرجو ألا يكون صاحبها أقل ثقة بنا منها !

السكرتير : تأكد يا سيدى أن ثقتى بك لا حد لها . أما هذه فيؤسفنى أنك أطريتها أكثر مما ينبغى . فهى لا تثق أبدا إلا بالراتب الشهرى الذى تضمنه سبع وخمسون دولة أما ما وراء ذلك فلا تثق منه إلا بما قد دخل إليها فعلا . فهل لك يا سيدى أن تطمئنها أولا ؟

شرتوك : قبل أن نتحدث ؟

السكرتير : لم لا ؟ سيكون لدينا بعد ذلك متسع من الوقت للحديث . . إنى قد فرّغت نفسى لك الليلة . . لك وحدك .

شرتوك : حسنا (يخرج ربطة من الأوراق ويسلمها له) .

السكرتير : أتسمح لى أن أعدها ؟

شرتوك : افعل .

السكرتير : إنى واثق بك كل الثقة غير أنى سأعدها من باب الاحتياط . . ومن يدرى لعلى أجد فيها زيادة فأردها لك (يعد الأوراق بسرعة ثم يودعها فى الخزانة) قليلا من الثقة يا ملعونة ! فقد أحرجتنى مع أعز أصدقائى (يغلقها ثم يعود إلى مجلسه) فى وسعك أن تتحدث الآن كما تشاء يا مستر شرتوك !

شرتوك : يؤسفنى أن أصارحك يامسيو ريجى لى بأنك لم تصنع لنا حتى الآن شيئا .

السكرتير : لم أصنع شيئا ! أتقول هذا جادا يامستر شرتوك ؟

شرتوك : كل الجد . . وليس هذا برأيى أنا فحسب، بل هو رأى جميع اليهود فى العالم.

السكرتير : واقلة حيلتاه ! ماذا أستطيع أن أصنع ليرضى عنى هذا الشعب الحبيب ؟ لقد صنعت كل شىء فى سبيلكم حتى ليخيل إلىّ أحيانا أننى لست سكرتير هيئة الأمم المتحدة وإنما أنا سكرتير الوكالة اليهودية أو سكرتير الجمعية الصهيونية العامة . والله لولا خوفى على مصلحة قضيتكم لجهرت بهذا الرأى على رؤوس الأشهاد وعلى رغم أنوف العرب وإن كانت نقودهم تصل إلى يدى كل شهر !

شرتوك : أيعطونك شيئاً ؟

السكرتير : كلا . . هؤلاء لا يعطون أحدا شيئاً . . إنما أعنى نقودهم التى تصلنى فى راتبى الشهرى

شرتوك : (يبدو عليه الاضطراب) يخيل إلىّ أننى أسمع حركة . .

السكرتير : ماذا بك ؟ هل ارتعت لذكر العرب ؟ اطمئن يا مستر شرتوك فليس هنا منهم أحد .

شرتوك : كلا . . إنى لا أخافهم . . ولكنى سمعت حركة هناك . .

السكرتير : أين ؟

شرتوك : خلف تلك الستائر .

السكرتير : ها . . هناك غرفة نومى . . لا تخف . . تلك كيتى تلعب خلف الباب

شرتوك : كيتى . . من كيتى ؟

السكرتير : (يبتسم) قُطيطتنا العزيزة .

شرتوك : ظننت أن . .

السكرتير : كلا . . كلا هذه حجرتى الخاصة . . ومع ذلك سأرى من باب

الاحتياط (ينهض مسرعا ويدخل خلف الستائر ثم يعود) إنها كيتى كما قلت لك تلعب خلف الباب .. تحدّث بملء حريتك فأنت فى أمان.

شرتوك : إننا لا نهتم إلا بالنتائج يا مسيو تريجفى لى . . الصفقة لا تهمنا وإنما يهمنا الربح .

السكرتير : فقد ربحنا لكم قرار التقسيم . من كان يحلم بمثل هذا النجاح المنقطع النظير ؟ هذا حدث فريد فى تاريخ الدبلوماسية الحديثة . ألم تر كيف اتفقت عليه الجبهتان المتضادتان لأول مرة فى تاريخ الهيئة ؟

شرتوك : هذا راجع إلى قوة حقنا ونصاعة بيناتنا لا إلى جهد أحد . .

السكرتير : لا تدعنى يا مستر شرتوك أغيّر جميل رأيى فى ذكائك وحسن إدراكك للأمور (يتنهد) آه . . . هكذا الناس دائما : حينما ينزل ركاب الباخرة إلى الشاطىء ينسون فضل بحارتها (مشيرا بيده إلى نفسه) وفضل ربانها ؟

شرتوك : إننا لا نريد أن نجحد فضلك ولا فضل أصدقائنا الذين أيدونا فى قضيتنا العادلة . ولكن الباخرة — إذا أذنت لى أن أستعير المثل الذى ضربته الساعة — ما تزال فى وسط العباب تهددها الأمواج والعواصف !

السكرتير : غداً تهدأ العواصف وتسكن الأمواج . (يتثاءب ويمسح عينيه كمن يطرد عنهما النوم) .

شرتوك : بعد أن تتحطم الباخرة ويغدو ركابها طعما لكلاب البحر وحيتانه ؟

السكرتير : أما أنا فأعتقد أن الباخرة قد وصلت إلى شاطىء الأمان . ولكن لا بأس أن أجاريك على رأيك جدلا. فاعلم إذن أن الباخرة لن تتحطم أبدا مادام بحارتها من العمالقة المدربين وما دام ربانها — دعنى أطر نفسى قليلا يامستر شرتوك . . . إن النـاس لا يعرفون من مقدرتى إلا قليلا مما أعرف فى نفسى — نعم مادام ربانها العظيم ساهرا عليها

(يزداد تثاؤبه ويظهر النعاس فى عينيه) مادام ربانها العظيم ساهراً عليها (بصوت متراخ من شـــدة النعاس) لا تفوته شاردة ولا تأخذه سنة ! .

شرتوك : هاهو ذا النعاس فى عينيك ... إنك نصف نائم الآن !

السكرتير : (يتثاءب ويمسح النعاس من عينيه) هاه ... هاه ... هذا صحيح .. ولـكنى الساعة فى منزلى ولست فى البحر ... أعنى أننى لست على ظهر الباخرة .. نعم أنا الآن فى منزلى .. هذه خزانة أموالى . (يتثاءب) هاه .. هاه ... وتلك زوجتى تلعب خلف الباب — عفوا ... تلك كيتى ... كيتى . قطيطتنا العزيزة كما قلت لك آنفا . (يتثاءب) هاه ... هاه ماذا بك يامستر ... يامستر شرتوك ... موسيه شرتوك مستحيل أن أنهى هذا الإسم ولو كنت فى سبات عميق . ألا تصدقنى يامستر شرتوك ؟ أتريد أن أريك إياها ؟

شرتوك : (منفعلا) تريني ماذا ؟

السكرتير : كيتى ... قطيطتنا العزيزة ... هاه ... هاه .

شرتوك : (ثائراً محتدما) ماذا يهمنى أنا من قطيطتك الملعونة ؟

السكرتير : كلا يا مستر . . . يامستر شرتوك لاتلعنها . . . العن هذه الخزانة إن شئت . أما كيتى فهى عندى غالية جداً . . . دعنى أحدثك عنها قليلا

شرتوك : كلا ... لا أريد أن أسمع عنها شيئا .. إننى ماجئت لهذا .

السكرتير : ولـكنك لعنتها فلا بد أن تسمع عنها شيئا لتغيّر رأيك فيها .

شرتوك : (يتنهد) آه ...

السكرتير : إننى حين آوى إلى السرير تجيء كيتى فتلحس رأسى بلسانها حتى أنام ثم تأوى هى إلى جنبى .

شرتوك : (كاظما غيظه) هه ثم ماذا بعد ؟

السكرتير : والعجب العجاب أننى وأنا كثير الحركة والتقلب فى نومى ، وهى تنام

لصق ، لم يحدث مرة قط أنني وقعت عليها . فلا أدرى والله هل تبيت
يقظى طول الليل أم أن لها إحساسا غريبا يقيها الخطر وهى نائمة.
ماراًيك فى تعليل هذه الظاهرة يامستر هاه ... هاه يا مستر شرتوك

شرتوك : (مغيظا يلوح الخبث فى عينيه) أغلب ظنى أنها لاتنام على سريرك !

السكرتير : كلا .. إنى أجدها دائما بجانبى حين أستيقظ فى الصباح .

شرتوك : (بلهجة التشفى) تلحس رأسك حتى تنام فتبرح هى سريرك ثم تعود
إليه قبل استيقاظك بقليل !

السكرتير : فأين تبيت طول الليل إذن ؟

شرتوك : من يدرى لعل قطا آخر ينتظرها !

السكرتير : قطا آخر ... ماذا تعنى ؟

شرتوك : أعنى قطاً آخر غير رفيقها الخاص . . أليس لقطتك رفيق خاص ؟

السكرتير : بلى إن لها رفيقا ظريفاً جداً هو قط جيراننا ويدعى جيجو وكثيراً
ما يزورها هنا فى المنزل .

شرتوك : وأنت فى المنزل !!

السكرتير : نعم . . ماالمانع ؟ إنه قط ظريف ، وإذا لم نسمح له بالدخول فستخرج
كيتى إليه كما فعلت ذات مرة فغابت عنا أياما وليالى لم يهنأ لى فيها نوم
لأنى تعودت ألا أنام إلا بعد أن تلحس لى رأسى .

شرتوك : (متذمرا) قد سمعت عن كيتى ما فيه الكفاية فدعنا نتحدث فيما
نحن بصدده .

السكرتير : ما زال عندى عن كيتى حديث شائق . . ألا تحب أن تسمعه ؟

شرتوك : لا . لا أرب لى فى سماع أسرارك العائلية .

السكرتير : أجل . . إنا نعتبر كيتى من العائلة . ولكن لا بأس أن أطلعك على
أسرارها فما أنت عنا بغريب

شرتوك : أوه . . دعنا فيما جئت من أجله .

السكرتير : (يتثاءب) حسنا . . هاه . . قل يا مستر شرتوك . .

شرتوك : لا حق لك أن تتناعس عند وجودى .

السكرتير : إن كنت تلومنى على هذا فأنت ممن لا يحبون لى خدمة القضية الصهيونية .

شرتوك : عجبا . . أتخدمها بهذا النعاس ؟

السكرتير : نعم .

شرتوك : (غاضبا) أتقول لى هذا بكل صراحة وبكل بساطة ؟

السكرتير : نعم إنى أحب الصراحة والبساطة يا مستر شرتوك . .هاه . . هاه .

شرتوك : وبدون خجل ؟

السكرتير : لو كنت أخدمكم علنا لربما شعرت بشىء من الخجل ، ولكنى سكرتير هيئة الأمم المتحدة رسميا وإن كنت سكرتيركم الأمين فى الحقيقة والواقع .

شرتوك : (يستشيط غضبا) تخدمنا بالنعاس وتتقاضى منا المال كل حين ثم تدعى أنك سكرتيرنا ؟

السكرتير : ها . . قد التبس عليك معنى كلامى يا مستر . هاه .. هاه

شرتوك : تخدمنا بالنعاس . هذا صريح ليس فيه أى التباس .

السكرتير : إن هذا النعاس الذى تلومنى عليه إن هو إلا نتيجة يوم طويل قضيته فى خدمتكم ، وهو كذلك استجمام ضرورى ليوم طويل أقضيه فى خدمتكم أيضا . فماذا ترى ؟

شرتوك : أردت أن توهمنى بأنك تعبت اليوم فى خدمتنا .. ماذا عملت اليوم ؟

السكرتير : شيئاً كثيراً يامستر شرتوك .. هاه .. هاه .. اتصلت تليفونيا بالرئيس ترومان وبكل ذى خطر يعمل فى مكتبه وأعطيتهم تعلياتى .

شرتوك : بخصوص ماذا ؟

السكرتير : بخصوص أمور كثيرة : تنفيذ التقسيم بالقوة.. إنشاء ميليشيا يهودية.. رفع الحظر عن إرسال الأسلحة إلى يهود فلسطين .. التوكيدات بأن الدول العربية ستخضع للأمر الواقع وبأن المملكة العربية السعودية لن تخل بامتيازات البترول من أجل فلسطين .. هاه ..

شرتوك : وماذا أيضاً ؟

السكرتير : نجحت اليوم فى عقد قران المسز روزفلت نهائيا على شيخكم صهيون ! وأنت بالطبع تعرف ما أعنى بهذه العبارة .

شرتوك : هذه تميل إلينا من قديم .

السكرتير : الميل شىء والزواج شىء آخر . نعم قد كانت تميل إلى صهيون ولكنها — شأن الأرملة القريبة العهد بوفاة زوجها — كانت تتحشم وتتحرج فما زالت بها حتى أقنعتها بزواج صهيون فهى اليوم زوجته وهو زوجها أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ (يتضاحك) قل لى أليس هذا تعبيراً مجازيا رائعاً يامستر شرتوك ؟

شرتوك : ربما لاينطبق هذا كثيراً على الواقع .

السكرتير : بل ينطبق على الواقع انطباقا تاما وهذا سر قوته وبلاغته . أؤكد لك يامستر شرتوك أنها لولا جلال الذكرى للرئيس الراحل وتعلق الشعب الأمريكى به لسمّت نفسها اليوم المسز صهيون !

شرتوك : هل تتوقع أنها ستضاعف نشاطها فى خدمتنا عن ذى قبل ؟ هذا هو المهم .

السكرتير : هذا يتوقف على مدى ماينساله الزوج الجديد من الحظوة عندها والقبول ! (يتضاحك) ولاحيلة لنا فيما بين الزوجين يامسترشرتوك !

شرتوك : وماذا صنعت لنا أيضاً ؟

السكرتير : (يتثاءب) هاه .. هاه .. قابلت صديق ومواطنى المندوب النرويجى فاقترحت عليه أن يلقى محاضرة عن أعمالكم الإنشائية فى الأرض المقدسة

شرتوك : وهل قبل ؟

السكرتير : نعم وعدنى بذلك ، ولكنى وعدته كذلك بأنكم لن تنسوه، فأرجو ألا تخلوا أنتم بوعدى .

شرتوك : وماذا أيضا ؟ . .

السكرتير : ألا يكفيك أن أقوم بهذا كله فى يوم واحد ؟ ألا ترانى أستحق بعد هذا أن أنعم بنوم لذيذ لأنهض مبكراً من الغد فأتصل بأعضاء مجلس الشيوخ واحداً واحدا ؟ أوه . . . إنك لشديد الطمع قليل الشكر !

شرتوك : كلا يا سيدى .. لايسعنى الآن إلا أن أقدم لك شكرى وشكر الوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية العامة .

السكرتير : هذا جميل منكم ولكن الشكر وحده لا يكفينى .. هاه .. هاه ..

شرتوك : عندى لك الليلة سهرة حمراء مدهشة .. فهل لك ..

السكرتير : (بصوت خافت) هس ! لا تسمعك كيتى ! (بصوت مرتفع) إننى لا أسهر يا مستر شرتوك إلا فى بيتى ، فاذا شئتم أن تقيموا لى حفلة تكريم فأعطونى نفقات الحفلة وكفى ، فذلك أحب إلى قلبى وأجلب لرضاى .. هاه .. هاه ..

شرتوك : (ينهض لينصرف) إذن فسأنصرف الآن يا سيدى لتنام .

— ٣ —

فى الهزيع الأخير من الليل — السكرتير نائم على سريره — تدخل الزوجة عليه فتنير المصباح وهى مرتاعة .

الزوجة : (تناديه لتوقظه) لى ! لى ! قم يا لى ! قم !

السكرتير : ماذا تريدين ؟ إنى الليلة متعب .. دعينى فى نومى !

الزوجة : انهض يا رجل ! انظر ماذا جرى لخزانتك الحديد !

السكرتير : (يهب من سريره مذعورا) ما بالها ؟ ماذا جرى ؟

الزوجة : سمعت هناك حساً وحركة وهمساً كهمس الحديث ..

السكرتير : لصوص فى المنزل ! يا للداهية ! (يسرع فيقفل حجرة النوم عليه وعلى زوجته ثم يقصد جهة التليفون) .

الزوجة : ماذا تريد أن تصنع ؟

السكرتير : سأتصل بالبوليس .

الزوجة : لا تفعل .. لا أحد هناك .

السكرتير : هل دخلت الحجرة ؟

الزوجة : نعم .

السكرتير : وفتشت خلف الستائر ؟

الزوجه : نعم .. لا أحد هناك .

السكرتير : (يتناول مسدسه) هلمى إذن معى .. أرينى ماذا هناك !

— ٤ —

فى الحجرة التى فيها الخزانة الحديد — يقف السكرتير وزوجته أمام الخزانة .

السكرتير : انك يا عزيزتى لكثيرة الأوهام .

الزوجة : كلا ليس ما سمعته بوهم .

السكرتير : هل تأكدت أن الصوت كان من داخل الخزانة ؟

الزوجة : نعم فقد كنت واقفة قريبا منها .

السكرتير : أخشى أن يكون صرصاراً أو جرذا يتلف لى الأوراق المالية (يفتح الخزانة ويبحث فيها ملياً ويقلب أوراقها) لم أجد شيئا يا عزيزتى .. لا ريب أن ما سمعته كان وهماً .

الزوجة : كلا بل كان حقيقة .

السكرتير : ناولينى تلك المضخة .. مضخة الديديتى .

الزوجة : (تناوله المضخة) ماذا تصنع بها ؟

السكرتير : (يرش بها على الخزانة) هذا على سبيل الاحتياط وإن كنت لا أعتقد البتة أن صرصارا أو جرذا يقدر أن يدخل هذه الخزانة المحكمة !

الزوجة : لم أقل لك إنه صرصار أو جرذ ، بل قلت لك إننى سمعت همساً كهمس الحديث .. سمعت كأن أناساً يتحدثون ..

السكرتير : (ينظر إليها مستغرباً ثم يقفل الخزانة ويأخذ بيد زوجته) هلمى يا عزيزتى .. لاشك أنك متعبة .. هلمى استريحى الآن غداً سأعرضك على الطبيب .

الزوجة : مادا تعنى ؟

السكرتير : لا شىء يا عزيزتى .. هلمى .. هلمى إلى المخدع لننام .

« ستار »

نقود تنتقم !

— ١ —

فى منزل سكرتير هيئة الأمم المتحدة بليك ساكسس .

السكرتير : نقود تتكلم ! هـذه أوهام ياعزيزتى إن لم تطرديها من رأسك فقد تفضى بك إلى ما لا تحمد عقباه .

الزوجـة : تعنى الجنون . . تظننى ممسوسة العقل . . . فارجعنى إذن إلى أهلى بالنرويج فانى لا أطيق البقاء هنا معك !

هو : هل تطوّع لك نفسك ياماري أن تتركينى هنا وحدى ؟

هى : ماذا أصنع إذا كنت تكذبنى وتتهمنى بالخبل والجنون ؟

هو : نقود تتكلم وهى محبوسة فى خزانة الحديد ! هذا غير معقول ياماري .

هى : أحلف لك بالسيد المسيح وبالعذراء لقد سمعتها بأذنى هاتين .

هو : تتوعد بالانتقام منى؟

هى : نعم .

هو : هبى أن ما سمعته كان صحيحاً فما ذنبى عندها حتى تنتقم منى ؟

هى : قلت لك انها نقود عربية وهى تنوى الانتقام منك لمالأتك للصهيونيين

هو : وكيف عرفت أنها نقود عربية ؟

هى : سمعتها وهى تتحاور فيما بينها يدعو بعضها بعضاً ياعراقى . يامصرى . ياسورى . . ياسعودى . . يالبنانى . . أليست هذه أسماء عربية ؟

هو : (يضحك) لكى أبرهن لك أن ما سمعته كان وهماً كله يكفى أن أذكرك بأن الخزانة لا تحوى إلا دولارات أمريكية !

هى : يكفى أنها وردت إليك من أيدى العرب .

هو : للعرب فى الهيئة ست دول فقط من سبع وخمسين دولة ، فليس من الجائز أن تكون النقود التى عندى كلها من الدول العربية . فأين نقود الدول الأخرى ؟ لماذا لا تتكلم ؟

هى : لا أدرى . لعلها نائمة أو لعلها عجم لا تنطق ... فما سمعت إلا النقود العربية .

هو : هذه آية فى الغرابة :

هى : ما وجه الغرابة فى ذلك ؟ انها تستنكف أن تكون فى يدك وأنت تتحيز ضد أربابها مع الصهيونيين . وكان على سكرتير هيئة الأمم أن يلتزم العدل والحياد .

هو : أراك تتكلمين بلسانها كما لو كنت وكيلة لها أو محامية !

هى : لقد سمعتها تقول ذلك ولم أزد شيئا من عندى .

هو : كيف يمكنها أن تنتقم منى وهى محبوسة فى الخزانة ؟

هى : لا أدرى ، ولكنى سمعتها تتحدث عن جهازك الهضمى وأنها ستصيبه بخلل وتسبب لك إمساكا شديدا ورياحا تزعجك ولا تخرج من بطنك

هو : وتصدقين أنها تقدر على ذلك ؟

هى : لم لا ؟ إن نقودا تستطيع أن تتكلم على هذا النحو العجيب لتستطيع أن تنتقم بطريقة من الطرق نجهل كنهها .

هو : قلت لى يوما إنك سمعتها تذكر هيئة الأمم المتحدة بسوء .. أتذكرين ما قلته ؟

هى : نعم أذكر كل شىء قالته كأنه محفور فى قلبى

هو : فأعيدى ذلك علىّ

هى : سمعتها تنعت الهيئة بأنها خدعة صهيونية عملت على إنشائها اليهودية العالمية تحت ستار السلام العالمى لتستغل جهود الدول وأموالها فى خدمة مآربها الجهنمية ، وأنها لا تختلف فى ذلك عن هيئة (الأونرا) التى أنشئت باسم إغاثة منكوبى الحرب من جميع الأمم وجمعت الأموال من جميع الدول لهذا الغرض ، ثم اتضح بعد ذلك أنها لم تصرف إلا لليهود بقصد ترحيلهم إلى فلسطين ، وتبين أن بعض هؤلاء كانوا أغنياء وليسوا بحاجة إلى المساعدة ألبتة .

هو : عجباً ما أقوى ذاكرتك ! هذا عين ما رويته لى من قبل . إلا أنك نسيت شيئاً فيما أظن فلم تذكريه .

هى : كلا ما نسيت شيئاً . . . لقد سمعتها تتعجب من انخداع العرب بهذه الهيئة ، وتود لو أنهم ينسحبون منها وينفقون بدل اشتراكهم فيها فى تحسين أحوال بلادهم ورفع مستوى معيشة الطبقات المحرومة فيها وليكتفوا بجامعتهم العربية أو فليدعوا إن شاءوا إلى تكوين هيئة أمم شرقية لا يستحوذ عليها نفوذ اليهود كما يستحوذ على الدول الغربية أليس هذا الذى ظننتنى قد نسيته ؟

هو : بلى يا مارى . . الحق أننى فى حيرة من أمرك .

هى : أما أنا فخائفة عليك .

هو : من انتقام هذه النقود ؟

هى : بالطبع .

هو : (يتضاحك) ما أطيب قلبك يا عزيزتى . اطمئنى فلن يصيبنى أى مكروه . إننى قوى الأعصاب ولا تؤثر فىّ مثل هذه الأوهام .

— ٢ —

فى مستشفى الامراض العقلية

السكرتير يزور المستشفى فيقابل كبير أطبائه على انفراد

الطبيب : خذ زوجتك ياسيدى فليس بها شىء .

السكرتير : كلا يا دكتور . لا أقدر أن آخذها من المستشفى وهى بهذه الحالة .

الطبيب : عجباً لك أتريد أن تبقيها هنا لغير سبب ؟

السكرتير : هل روت لكم قصة الأصوات التى سمعتها من خزانة الحديد ؟

الطبيب : نعم . . روت لنا كل شىء .

السكرتير : وتكون بعد هذا كله سليمة العقل ؟

الطبيب : نعم . . هى سليمة العقل قطعا .

السكرتير : كلا يا دكتور . . لا تقل هذا .

الطبيب : عجباً . . أتريد أن تثبت عليها الجنون بالقوة ؟ ألا يسرك أن تكون نتيجة الفحص سلبية ؟

السكرتير : بلى يا دكتور ، ولكنى أخشى إن صدق زعمها أن أصاب أنا بالمرض

الطبيب : حينئذ نفحصك أنت ونعنى بعلاجك .

السكرتير : كلا . . لن أصاب فى عقلى بل فى جهاز هضمى .

الطبيب : حينئذ تعرض نفسك على طبيب باطنى ليعالجك . وبعد فعلام التفكير فى مرض متخيل لم تصب به بعد ولعله لا يصيبك ألبتة ؟

السكرتير : ما دمتم قد قررتم أن زوجتى سليمة العقل فلا بد أنى سأصاب به.

الطبيب : (ينظر إليه ملياً) أرى من الأفضل أن تتبعنى إلى حجرة الكشف

السكرتير : لأرى زوجتى؟

الطبيب : لا . . بل لأكشف عليك

السكرتير : (مرتاعا) كلا يا دكتور . ليس بى شىء مما تظن !

الطبيب : لا أستطيع أن أطمئن إلى ذلك إلا بعد الكشف .

السكرتير : حذار يا دكتور أن يسمع هذا منك أحد فإنى سكرتير هيئة الأمم المتحدة كما تعلم . وأخشى أن أفقد منصبي هذا إذا شاع فى الناس أنك فحصت قواى العقلية حتى ولو كانت النتيجة سلبية !

الطبيب : اطمئن .. سأكتم هذا السر .

— ٣ —

فى منزل السكرتير : السكرتير يتقلب على فراشه متألما من مغص ورياح تقرقر فى بطنه وهو يشكو ويتأوه وعنده زوجته تحاول عبثاً أن تخفف عنه .

هو : أواه ! أما لهذا الألم من آخر ؟

هى : سيعودك الطبيب الآن فلعله يعطيك علاجا آخر ؟

هو : قبح الله هؤلاء الأطباء ! ليس عندهم إلا زيت الخروع !

هى : فقل له حين يجىء إن الزيت لم يجدك شيئا .

هو : سيأمرنى بمضاعفة الكمية كما فعل من قبل ، وهو جاهل لا يدرى أن الزيت نفسه يحتبس فى بطنى فيزيد فى عذابى .

هى : لكنك قد شربت البارحة قارورة كاملة منه ، وما أظن هذه الكمية تحتمل الزيادة .

هو : بل سترين هذا الجاهل يأمرنى بمضاعفة الكمية أيضا .. آه .. أشتهى ريحاً ولو صغيرة تخرج منى فترفه قليلا عنى !

هى : لو استمعت لنصيحتى لكنت فى غنى عن هذا الطبيب وغيره .

هو : أوه . ماعندك إلا هذا القول تعيدينه علىّ مرة بعد مرة ؟ كيف تريدين منى أنا سكرتير أعظم هيئة دولية أن أؤمن بمثل هذه الخرافة ؟

هى : لاتقدر اليوم أن تسميها خرافة بعد ماظهر أثرها فيك !

هو : (غاضبا) والله ماسكبنى بهذا غيرك . نقود تتكلم !! نقود تنتقم !
مازلت تحاربين أعصابى بترديد هذه القصة الوهمية حتى أصابنى ما أصابنى
فهل طابت نفسك الآن وقرت عينك ؟ .

هى : أتلومنى الآن على أنى أنذرتك فما استمعت للنذير حتى أصابك
ما أصابك ؟

هو : نعم . لقد كنت السبب ، فلولا نذيرك هذا المشؤوم لما أصابنى شىء .

هى : ماذنبى أنا ؟ الخزانة خزانتك والنقود نقودك وهى التى انتقمت منك !

هو : أجل . أكّدى لى هذه الخرافة . انفثى سمومها فى نفسى حتى يشتد
المرض الذى بى . أنت التى تنتقم منى لا النقود ! .

هى : أنا أنتقم منك ! أتدرى ماذا تقول ؟

هو : نعم . إن كنت مصابا ببطنى فان عقلى بخير فأنا أدرى ما أقول .

هى : (تغالب غضبها) هل لك أن تخبرنى عما عسى أن يدفعنى إلى الانتقام منك ؟

هو : مايدرينى لعل فى عروقك دما عربيا هو الذى يدفعك إلى ذلك ! .

هى : يالها من تصورات عجيبة ! .

هو : ليست هذه بأعجب من تصوراتك الوهمية إذ تزعمين أن نقوداً من
الورق تتكلم وتنتقم وهى محبوسة فى خزانة من الحديد !

هى : لقد سمعت ذلك بأذنى أفأكذب ما سمعت أذناى ؟

هو : لاشك عندى أن هذا الدم العربى الذى يجرى فى عروقك هو الذى
أوحى إليك هذه القصة الوهمية لتحطم أعصابى انتقاما منى !

هى : عجباً . أوقد صارت قصة الدم العربى حقيقة تؤمن بها وما مضى على
اختراعك لها غير دقيقة واحدة ؟

هو : لم لا ؟ إنك تدافعين دائماً عن العرب وتتحاملين على اليهود

هى : أنت إذن يهودى الدم لأنك تدافع دائماً عن اليهود .

هو : كلا . أنا لا أدافع عنهم مجانا !

هى : وأنا لا أدافع عن العرب مجانا

هو : (مذعورا) ماتقولين ؟ هل اتصل بك أحد منهم ؟

هى : تروّ فى كلامك يارجل . إنك تعلم أن العرب لايتبعون فى نصر قضيتهم مثل هذه الأساليب اليهودية !

هو : لكنك قلت إنك لاتدافعين عنهم مجانا .

هى : نعم . لأنى أفعل ذلك لمصلحتك أنت ولحفظ سمعتك وكرامتك . وأخيراً لتخليصك من هذه النقمة التى حلت بك . إنك لاتؤمن بالله يارجل وإلا لأيقنت أن فى قدرته سبحانه أن يودع فى النقود قوة تنتقم من رجل يخون أمانة أصحابها وهو يعيش من خيرهم !

هو : وأنا أعيش من خير اليهود أيضاً أفلا تخافين أن تنتقم نقودهم منى إذا أنا خنتهم ؟ أليس الله قادراً على أن ينفخ فى نقودهم أيضاً قوته الخفية ؟

هى : أنصحك ألا تذكر الله ساخراً . إن النقود التى تأخذها من اليهود إنما هى رشوة ، والله أعدل من أن يظهر فيها آيته

هو : ياهذه كفى ! لقد احتملت منك فوق ماينبغى أن أحتمل . أما كفاك أن سببت لى هذا المرض حتى توسعينى تعنيفا وتقريعا ! أنسيت أنى سكرتير أعظم هيئة دولية فى العالم وأنك امرأة ساذجة تؤمن بالخرافات والأوهام ؟

(يدق جرس الباب الخارجى)

هى : هذا طبيبك قد جاء ، ولولاه لأسمعتك ردى (تخرج)

هو : آه . كل شىء يحاربنى . حتى زوجتى دسيسة على ! هى السبب فى كل ما أصابنى . آه ! ماهذا الذى يسد بطنى سدا كأنه خزانة حديدية ليس لها مفتاح ! أما من سبيل إلى ريح صغيرة يرفه خروجها عنى ؟

(تعود الزوجة ومعها الطبيب)

الطبيب : (يدنو من سرير المريض) لعلك اليوم أحسن حالا يامسيو تريجولى

السكرتير : أبقارورة الخروع التى نصحتنى بشربها ؟ إنها احتبست فى بطنى فزادته انتفاخا وقرقرة !

الطبيب : ألم يلن بطنك ولو قليلا ؟

السكرتير : ولا قطرة !

الطبيب : ولاريح ؟

السكرتير : ولانسمة ! ألا تبصر هذا الانتفاخ ؟ ألا تسمع هذه القرقرة ؟

الطبيب : (يجس بطنه وينقر على مواضع منه) هذه حالة غريبة مارأيت لها شبها ولا سمعت بمثلها قط . . . هل شربت ياسيدى قارورة الزيت بأكملها ؟

السكرتير : إن كنت تعنى القاروة ذاتها فليس فى وسعى أن أبلعها !

الطبيب : كلا . . إنى أعنى مافى القارورة بالطبع .

السكرتير : فقد أفرغته كله فى جوفى !

الزوجة : نعم يادكتور . . شربه كله .

الطبيب : إذن فلا بد من مضاعفة الكمية .

السكرتير : أما عندك سوى زيت الخروع ؟ أهذا كل ماتعلمته من الطب ؟

الطبيب : هذا الامساك المستعصى يحتاج إلى مسهل قوى ، ولا يوجد مسهل يمكن تعاطيه بكميات كبيرة دون ضرر إلا هذا الزيت .

السكرتير : فكم قارورة تنصحنى أن أشرب ؟ مئة قارورة ؟ ألف قارورة ؟

الطبيب : إن شراءه بالقوارير يكلفك ثمناً باهظاً ، ولكن توجد منه براميل صغيرة فاشرب منه برميلا كل ليلة قبل النوم .

الزوجة : برميلا بأكمله يادكتور !

الطبيب : نعم لاخوف عليه ياسيدتى من ذلك . . من حسن الحظ أن لزوجك بطناً كبيراً يسع البرميل وزيادة ؟

السكرتير : حسنا .. سأشرب البرميل والبرميلين .. إنى لا أطيق هذا العذاب خير لى أن ينفجر بطنى فاستريح !

— ٤ —

أربعة من الأطباء يتداولون الرأى بعد فراغهم من فحص السكرتير

الأول : هذه حالة غريبة .

الثانى : إمساك مستعص لا نظير له .

الثالث : برميل زيت الخروع لو أعطى لفيل لجرف كل ما فى بطنه ولما أبقى فيه شيئا !

الرابع : لو وفّقنا إلى تشخيص هذا المرض وعلاجه لفتحنا فتحا جديدا فى عالم الطب .

الأول : يخيل إلىّ وأنا أنظر بالأشعة خلال بطنه كأن لفضلات الطعام عقلا خاصا تتقى به الدواء المسهل بطرق عجيبه ، فهى تلصق بالأمعاء الدقاق وبألياف المعدة لصوقا شديدا حتى يمر المسهل ويخرج ، فتبرز حينئذ من مكانها وتتخمر وتستحيل إلى أهوية وغازات !

الثانى : لقد خطر لى مثل هذا أثناء كشفى عليه بالأشعة . . خيّل إلىّ أن للطعام الذى فى بطنه إرادة صارمـــة ، فهو يتشبث بجدران الأمعاء تشبث المستميت .

الأول : حقا إن الطبيعة لملأى بالعجائب .

الثالث : أجل .. ما أقل ما نعلم وأكثر ما نجهل !

الثانى : والآن ماذا ترون فى علاجه أيها السادة ؟

الأول : يستمر فى تعاطى برميل الزيت .

الثالث : نعم .. برميل الزيت لاغير .

الثـــانى : ألا تخشون أن الخروع يبطل أثره بكثرة الاستعمال ؟

الأول : حينئذ يضاعف مقدار مايتعاطاه منه .

— ٥ —

موسيه شرتوك يعود السكرتير فى منزله .

شرتوك : أين نشاطك يامسيو تريجفى لى وأين تصريحاتك ؟ لقد فترت همتك هذه الأيام .

السكرتير : ألا ترى ما أنا فيه ؟ ألا تبصر هذا الانتفاخ وتسمع هذه القرقرة ؟

شرتوك : لو كنت طريح الفراش لعذرناك ، ولـكنك تباشر عملك وتغدو وتروح

السكرتير : أتريد منى أن أنقطع عن عملى فيطير منصب السكرتارية منى ؟ ألا تدرى أنى أناضل فى سبيل الاحتفاظ بمنصبى وأضحى شمن رميل من زيت الخروع كل ليلة ليخفف بعض ما بى من هذا الإمساك وهذه الغازات ؟

شرتوك : ولـكن القضية فى خطر ، ومشروع التقسيم فى كفة القدر ، ونحن أحوج ما نكون إلى نشاطك وإذا قضى على المشروع — لا سمح الله — فسيلقى الشعب اليهودى التبعة كلها عليك لتقصيرك .

السكرتير : لم يقع منى أى تقصير فى خدمتكم وإنما كان التقصير منكم أنتم .

شرتوك : أى تقصير ؟ ألسنا نواليك بالهدايا والهبات وإن لم تعمل لنا شيئاً ؟

السكرتير : يجب أن تضاعفوها اليوم فإن براميل الخروع تكلفنى مبالغ طائلة . لقد ارتفع سعره فى هذه الأيام وقل وجوده وأخشى أن يختفى وشيكا من الصيدليات فتكون القاضية علىّ .

شرتوك : هل تعود إلى نشاطك إن ضمنت لك باسم الوكالة اليهودية أن نمونك بكفايتك منه ؟

السكرتير : بالطبع سيفرغ بالى من هم ثَمنه على الأقل .

شرتوك : إذن فثق أننا سنستورد لك باخرة ملأى بالخروع ونضعه كله تحت أمرك تغترف منه كما تشاء .

السكرتير : هذا أقل ما يجب عليكم أن تعملوه من أجلى فى هذه المحنة التى حلت بى (يضع يده على بطنه) آه ! أما لهذا العذاب من آخر ؟

شرتوك : بم تشعر يا مسيو تريجفى لى ؟

السكرتير : كيف أصف لك ألمى ؟ ذلك صعب يا مستر شرتوك . ولكن لا بأس أن ألتمس لك صورة تقربه إلى ذهنك . . دعنى أفكر قليلا .

شرتوك : شكرا يا سيدى . . إنك تعلم مبلغ عطفى عليك وتأثرى لحالك .

السكرتير : هأنذا قد وجدت الصورة . . صورة مناسبة جداً لمقتضى الحال !

شرتوك : كيف ؟

السكرتير : إن بطنى يامستر شرتوك قدأصبح كفلسطين، تدور فى داخلها معارك رهيبة ، وما هذه القراقر إلا صداها المسموع . . والطعام الذى آكله . . أتدرى ما مثله حين يدخل فى جوفى ؟

شرتوك : ما مثله ؟

السكرتير : مثل المهاجرين حين يدخلون فلسطين ، فإذا هم فى معمعان القتال ، تتخطفهم القوات العربية من كل مكان وتعركهم عركا ، فيحاولون الخروج منها ، فيمنعهم إخوانهم الإرهابيون ويسدون عليهم السبل . . أما برميل الخروع الذى أتعاطاه كل ليلة فيرفه قليلا عنى فمثله كمثل القوات البريطانية التى يأتيها الإذن بالانسحاب فتخرج من البلاد زمرة بعد زمرة !

شرتوك : (مشمئزا) هذه صورة بشعة رسمتها لحال اليهود فى فلسطين لا تدل على عطف صادق عليهم .

السكرتير : لاتسىء فهم حديثى يا مستر شرتوك ، فلولا أننى شديد العطف والرثاء لمحنة اليهود فى فلسطين لما ضربتها مثلا للمحنة التى فى بطنى . فكلتاهما تؤلمنى ألما بالغا . آه يا مستر شرتوك إنك لا تدرى أى بلاء أعانى ! . . . ماذا ؟ أتنوى الانصراف ! شكرا لك على زيارتك . . إياك أن تنسى باخرة الخروع !

— ٦ —

في مكتب صراف هيئة الأمم المتحدة — السكرتير يقابل الصراف على انفراد .

الصراف : نقود تنتقم ! هذا مستحيل ياسيدى . . لا شك أن هذا وهم .

السكرتير : لقد كذّبت زوجتى حين حدثتنى بذلك من قبل ، وظللت أرميها باللوثة والوهم حتى اضطررت إلى تصديقها آخر الأمر حين أخذت النقود اللعينة تنتقم منى فى الدورة الدموية بدلا من الجهاز الهضمى .

الصراف : فى الدورة الدموية !

السكرتير : نعم . . . هكذا شخّصها الطبيب وقال إنها حالة غريبة أيضا كالحالة الأولى .

الصراف : ألم يعطك علاجها ؟

السكرتير : بلى ولكنى على يقين أن الطب سيعجز عن شفائى منها كما عجز فى الحالة الأولى . وإنما فى يدك أنت وحدك أن تنقذنى :

الصراف : فى يدى أنا ؟

السكرتير : نعم فهل لك أن تفعل ؟

الصراف : إن كان ذلك فى مستطاعى فإنى تحت أمرك .

السكرتير : أكّدلى أنك ستكتم هذا السر .

الصراف : قد وعدتك بذلك فاطمئن يا سيدى من هذه الناحية .

السكرتير : قد يتعبك قليلا ما أساطلبه منك وقد يضايقك . ولكن ثق بأنك ستنقذ بذلك حياتى وحياة زوجتى التى كادت تجن .

الصراف : إنى مستعد لخدمتك بكل ما فى طاقتى ، فقل لى ماذا تريد منى أن أصنع لك ؟

السكرتير : أن تعزل ما يرد إليك من نقود الدول العربية المشتركة فى الهيئة حتى لا يتسرب إلى يدى من تلك النقود اللعينة شىء ويكون راتبى الشهرى خاليا منها خلوا تاما .

الصراف : هذا غير عسير عليّ غير أنى ما زلت أشك فى صحة هذا الزعم الغريب .

السكرتير : يا سيدى هبنى مجنونا مخبول العقل وهب زوجتى كذلك ، فماذا عليك لو حققت لى هذا المطلب اليسير ؟

الصراف : لكن ماذا أقول للمفتشين إذا رأونى أعزل تلك النقود وحدها ؟

السكرتير : انتحل لهم أى عذر . . . قل لهم مثلا إنك تعزلها لأنها جاءت من بلاد انتشر فيها وباء الكوليرا .

الصراف : ولكن هذا الوباء قد ارتفع .

السكرتير : أوه ! قل لهم إنك تفعل ذلك من باب الاحتياط !

الصراف : حسنا يا سيدى . . سأقول لهم ذلك .

السكرتير : إن كان لى أن أنصحك فلا تأخذ شيئاً من هذه النقود العربية فى راتبك ، فإنى لا آمن أن يصيبك من شرها ما أصابنى !

الصراف : (يضحك) أشكرك على نصيحتك وإن كنت لا أومن بهذه الخرافة .

السكرتير : لا تضحك . . فليس ما أصابنى خرافة . هأنذا قد أنذرتك !

الصراف : أشكرك على كل حال .

السكرتير : لا تنس أن تكتم السر عن كل أحد .

الصراف : اطمئن ياسيدى فلو حدثت به أحداً لرمانى بالجنون !

« ستار »

الصرح الشامخ

— ١ —

فى رقم ١٠ داونتج ستريت . المستر يفن فى مكتبه منكبا على القطع الخشبية المكتوب عليها أسماء ممالك الشرق الأوسط يقلبها بين يديه ويحرك شفتيه بكلام غير مسموع (يقرع باب المكتب)

يفن : من هناك ؟ أنا مشغول الآن . . انتظر قليلا أو ارجع إلىّ بعد قليل .
(يعود إلى الانكباب على عمله) .
(يدخل رئيس الوزارة بهدوء فيراه كذلك) .

اتلى : ماهذا يامستر يفن ؟ دائما تقلب هذه القطع . . لاشغل لك سواها .

يفن : أرجو أن تحترم طريقتى فى التفكير يامستر اتلى فإن المسئولية كلها ستقع على عاتقى !

اتلى : (يلين لهجته) : لكنك قد أخذت إجازة أسبوع كامل أمضيته فى تقليب هذه القطع، وأخبرتنى أنك قد فرغت من وضع المشروع .

يفن : نعم قد فرغت من ذلك فعلا وإنما أقوم اليوم بالتجربة الأخيرة .

اتلى : فهيا أسرع إذن وانته من هذه التجارب فإن الوفد العراقى سيصل غدا فى الصباح !

يفن : غدا فى الصباح !

اتلى : نعم قد طار اليوم من بغداد .

يفن : (يجمع قطعه وأوراقه ويضعها فى محفظته ويأخذ فى ارتداء معطفه) . شكراً ياسيدى . . جئتنى اليوم بخبر مفيد .

اتلى : (مستنكراً) اليوم !

يفن : نعم . . اليوم . أم تريد أن أقول غدا أو أمس ؟

اتلى : معذرة .. حسبتك تعنى غير هذا المعنى !

يفن : ماذا الذى خطر ببالك ؟

اتلى : لاداعى لذكره الساعة فقد تبين لى أنك لم تقصده . . قل لى إلى أين أنت ذاهب الآن ؟

يفن : إلى بورتسموث .

اتلى : أما زلت مصراً على أن تجرى المفاوضات هناك ؟ ألاترى أن العاصمة أهيب فى صدورهم وأفخم ؟

يفن : لن نعقدها إلا فى بورتسموث . هذه المدينة التى ثبتت للغارات الألمانية المدمرة فصانت الامبراطورية من الانهيار أجدر بأن يوقع فيها هذا المشروع الذى سيصون الامبراطورية مرة أخرى فى ذلك المركز الحيوى من العالم .

اتلى : حسنا . . لكن فيم الإسراع بالذهاب إليها من الآن ؟ إن لديك متسعاً من الوقت فما إخالك تقابل الوفد العراقى قبل الغد .

يفن : لن أقابلهم إلا فى اليوم الثالث من وصولهم . . يجب أن يعتقدوا أن لدىّ مسائل كثيرة أخرى أهم من مسألتهم .

اتلى : إذن فعلام هذا الإسراع ؟

يفن : لأستعد للأمر .

اتلى : ألم تقل لى إنك قد استعددت من قبل وابرقت لسفيرنا فى العراق فطبخ المسألة مع رجال الحكومة هناك حتى أنضجها ؟

يفن : بلى ، كل ذلك قد وقع ولكن هذا استعداد للاستعداد !

اتلى : هذه عبارة جديدة يامستر يفن لم أسمعها قط من غيرك !

يفن : نحن فى حاجة إلى الابتكار فى مناهجنا السياسية وغيرها ، وانك — أنت الشاعر — لجدير أن تكون أول من يشجع هذا الاتجاه .

اتلى : لو قرأت أشعارى لعرفت أننى أميل إلى الابتكار ، ولكن يجب مع ذلك أن نحافظ على الاصول المتبعة .

يفن : أنا لا أعرف الشعر فقل فيه ما تشاء ولا حرج . أما السياسة فلا آذن لأحد أن ينتقد اتجاهى فيها ولو بالتلميح ؟

اتلى : (بعد صمت قصير) أتريد أن تغيب عنا هذين اليومين فى بورتسموث؟

يفن : بالطبع .

اتلى : لكنا قد نحتاج فى خلالها إليك .

يفن : لأى شىء ؟ علينا أن نؤجل كل شىء ونقصر تفكيرنا وجهودنا على هذا المشروع .

اتلى : فقد نحتاج إليك فى شؤون هذا المشروع ذاته

يفن : كلا ، فكل ما عليكم أن تعملوه فى خلال هذين اليومين هو أن تقيموا حفلات التكريم للوفد العراقى وأن تبالغوا فى الترحيب به والحفاوة وما إخالكم بحاجة إلى عونى فى تنظيم هذه الحفلات .

اتلى : هل عندك تعليمات أخرى قبل أن تغادرنا ؟

يفن : إن رأيت أن تنظم قصيدة فى الترحيب بالوفد العراقى فافعل . فقد سمعت أن العرب يحبون قصائد المدح فى حفلاتهم .

اتلى : قد بعد عهدى بالنظم فأخشى ألا أقدر عليه اليوم

يفن : هذا كل ما يطلب منك الآن عمله فإن قمت به فذاك .

اتلى : وإن لم أقم به ؟

يفن : فلا حرج عليك ! (يتأبط محفظته ويتحرك ليخرج) إلى اللقاء يا مستر اتلى ! (يخرج)

اتلى : (واقفا كالمشدوه) إلى اللقاء . . (يحدث نفسه) لا بأس أن أجرب النظم الليلة . . ترى هل يسعفنى أبولو فيصعد بى إلى جبل الاولمب ؟

— ٢ —

في إحدى دور الحكومة ببورتسموث حيث انقطع المستر بيفن عن مقابلة الناس وليس معه سوى الطبيب النفساني الدكتور بلاكويل

بيفن : (واقفا أمام مرآة كبيرة وبين يديه كومة من الملابس بألوان مختلفة وهو يخلع لونا ويلبس لونا آخر) علام استقر رأيك الآن يا دكتور بلاكويل ؟

بلاكويل : أرى أن ترتدى البذلة السوداء فهى أدل على الحشمة وأبعث للرهبة .

بيفن : لكنى لا أريد أن أرهبهم فيتخوفوا منى .

بلاكويل : كلا . . أنا لا أعنى الرهبة التى تحدث النفرة والتخوف ، بل أقصد الرهبة التى تحدث الطمأنينة والاستسلام .

بيفن : ألا ترى هذه البذلة الرمادية ذات الخطوط الدقيقة الحمراء أروع وأجمل ؟ إنها أحدث بذلى كلها .

بلاكويل : لو كنت ذاهباً لشهود حفلة رقص لكانت هذه هى الأليق . فهى رائعة حقاً .

بيفن : (يبتسم) أتظننى كنت أستطيع أن اجتذب أنظار الحسان هناك لو ارتديتها ؟

بلاكويل : بالطبع .

بيفن : وأنا فى هذه السن ؟

بلاكويل : لم لا ؟

بيفن : وبهذه البدانة والسمن ؟

بلاكويل : نعم . . لن تعدم بينهن من يقاربنك فى السن ويشا كلنك فى البدانة .

بيفن : (يغيض الابتسام من شفتيه) ويلك . . تعنى أولئك العجائز المترهلات!

بلاكويل : لا تغضب ياسيدى فقد قلت : يقاربنك فى السن ، وانت فى نظرى ما تزال فى حدود الشباب المكتمل . أما البدانة والنحافة فالناس فى تقديرهما ليسوا على رأى واحد .

بيفن : أفى النساء من تعشق البدين ؟

بلاكويل: نعم كما فى الرجال من يعشق البدينة .

بيفن : (ينظر فى ساعته) أوه . . . قد أضعت جزءاً كبيراً من وقتى فى هذا الكلام الفارغ . ما لنا ولحديث الرقص والحسان الآن ؟

بلاكويل: أنت ياسيدى الذى طرقت هذا الموضوع .

بيفن : والآن أما زلت تفضل البذلة السوداء ؟

بلاكويل: نعم

بيفن : على مسئوليتك ؟

بلاكويل: هناك عوامل أخرى للنجاح غير لون البذلة ، فكيف تريد أن تحمّلنى المسئولية ؟

بيفن : ما هى ؟

بلاكويل: براعتك السياسية مثلا فهى أساس الأمر كله .

بيفن : هذه ليست موضع جدل يادكتور بلاكويل . . هذه مضمونة عند الكل . . موثوق بها كالجنيه الاسترلينى !

بلاكويل: إن كانت كالجنيه الاسترلينى فليست جد مضمونة !

بيفن : أعنى كالجنيه الاسترلينى سابقاً . . وكالدولار اليوم .

بلاكويل: ها . . كالدولار . . هذا مضمون مائة فى المائة .

بيفن : (مزهوا) أمريكا تعتز بالدولار . . أفتدرى بم تعتز بلادك ؟

بلاكويل: (باستخفاف) بم ياسيدى ؟ أبالاسطول ؟ فالأسطول الأمريكى قد صار أقوى وأعظم !

بيفن : بل بشىء آخر .

بلاكويل: أبالاستعمار ؟ فانى أرى أن أمريكا قد نافستنا فيه ، وروسيا لا تقل عنها نشاطاً فى هذا السبيل ، ولكل واحدة منهما أسلوبها الخاص المبتكر .

يفن : ويلك . . إنك تتكلم بسخرية كما لو كنت المستر تشرشل !

بلاكويل: المستر تشرشل ! ما شأنه فى هذا الحديث ؟

يفن : ذاك الشيخ الأحمق لا ينفك يتشدق كل يوم وفى كل مجلس بأن حكومة العمال هى التى أفضت بالامبراطورية إلى هذه الحال من الضعف ، متجاهلا كل الظروف الدولية والأحوال العصيبة التى مرت بهذه البلاد . تُرى فى أى عصر يحسبنا هذا الغبى نعيش ؟

بلاكويل: أؤكد لك ياسيدى أننى لست من رأيه .

يفن : إذن فعلام استعرت لهجته الساخرة ؟

بلاكويل: كلا ياسيدى ما قصدت السخرية قط . وإنما جرنا الحديث إلى الموازنة بين ما تعتز به أمريكا وما تعتز به بلادنا فذكرت أموراً أليمة حقاً ولكنها حقائق واقعة مع الأسف (يجهش بالبكاء) .

يفن : ماذا بك ؟ أتبكى ؟

بلاكويل: لكى تعلم أننى كنت مخلصاً فى التعبير عن حزنى وأسفى ، وما كنت بساخر كما زعمت .

يفن : (متأثراً) لا تؤاخذنى يادكتور بلاكويل . لقد شط بى الظن بعيداً إذ توهمت فى كلامك أثراً من نغمة ذاك القلنفع الشاغب .

بلاكويل: (يكفكف دمعه) إنما هزنى التألم لحال بلادى ! .

يفن : لا تبتئس كثيراً فالنا بعد لا يدعو إلى مثل هذا التشاؤم . ومهما يكن من شىء فقد بقى لبلادك ما تعتز به دون غيرها من الممالك .

بلاكويل: قل لى ياسيدى ما هو ولا تدعنى أذكر أموراً أخرى قد تغضبك منى أيضاً .

يفن : ألا تعرف ما هو ؟ يوجد الآن نموذج منه بين يديك !

بلاكويل: بين يدى ! أفلا ترينى أياه .

يفن : (يقهقه) أريك أياه ! هذا محال ما بقيت على قيد الحياة .

بلاكويل: ماذا تعنى ؟

يفن : قد يتاح لك أن تراه بعد موتى إذا أذنت لك الجمية الطبية البريطانية بذلك ، لأنى قد كتبت فى وصيتى أن يوضع تحت تصرفها .

بلاكويل: كأنك تعنى . . .

يفن : (يشير إلى رأسه) المخ الذى هنا !

بلاكويل: عجبا كيف لم أهتد من تلقاء نفسى إلى هذا الأمر الواضح جداً !

يفن : أجل . هذا غريب بالنسبة لمن هو فى ذكائك وعلمك .

بلاكويل: أدركت الآن سر ذلك . . إن شدة الظهور قد تؤدى أحيانا إلى الخفاء . هذا هو حالى معك .

يفن : فليكن عند أمريكا الدولار والأسطول وما شئت أن تذكره ، ولكن لن يكون عندها مثل هذا المخ أبداً . ألا توافقنى على هذا ؟

بلاكويل: بالتأكيد .

يفن : أفلا تعتقد الآن أن براعتى السياسية مضمونة — على حد تعبيرك — مائة فى المائة ؟

بلاكويل: بل بمائتين فى المائة !

يفن : لاتبالغ . . إنى لا أحب المبالغة .

بلاكويل: ما قصدت المبالغة ياسيدى .

يفن : يكفينى مائة فى المائة .

بلاكويل: فليكن ياسيدى ماتريد .

يفن : فهل تقبل الآن أن تتحمل مسئولية اختيار اللون الأسود فيما يقدر لى من النجاح أو الاخفاق ؟

بلاكويل: ما تزال هناك عوامل أخرى ياسيدى غير البراعة السياسية ولون البذلة

يفن : فاذكرها لى لنجتهد فى توفيرها جميعاً .

بلاكويل: ملامح الوجه مثلا فان لها أثرها فى قوة الاقناع .

يفن : هذا صحيح ... كيف فاتتنى هذه النقطة الهامة ؟

بلا كويل: وكذلك نغمة الصوت ، وإيماءات اليد ، وكيفية الابتسام ، والجلسة التى تجلسها على كرسيك ... كل أولئك له أثر كبير فى استدراج الخصم إلى الايمان برأيك والثقة بصواب منطقك .

يفن : بوركت يادكتور ، لقد أدركت الآن انى كنت ملهما إذ اصطحبتك معى للاستعانة بعلمك . حقا إن علم النفس لكبير النفع فى ميدان السياسة

بلا كويل: فى كل ميدان من ميادين الحياة

يفن : كيف نسيت أن تذكرنى بهذه الأشياء من قبل ؟ فقد أضعنا وقتاً طويلا فى اختيار لون البذلة

بلا كويل: ما نسيتها ياسيدى وانما آثرت أن نتناولها نقطة نقطة .

يفن : فهيا إذن أسرع فالوقت ثمين ، ولا بد من الاستعداد التام فان بين رجال وفد العراق داهية لا يستهان به ... عميق الغور جداً !

بلا كويل: (يهتز طربا) الآن فهمت لماذا أطلقوا عليه لقب « قبر » ... قد راجعت هذه الكلمة فى القاموس العربى الانجليزى فعرفت معناها ... أنه عميق الغور كالقبر !

يفن : ذاك رئيس الوزراء وليس هو الذى أعنيه .

بلا كويل: فمن تعنى ؟

يفن : صاحب الكتاب الأزرق .

بلا كويل: قد عرفته ! ذى هابى جبسى باشا !

يفن : ما تقول ويلك ؟ إن اسمه نورى السعيد باشا

بلا كويل: نعم ... نعم ... ذى هابى جبسى باشا . هذا معنى اسمه عندهم

يفن : عجباً ... كأنك تعرف اللغة العربية يادكتور بلا كويل ؟

بلا كويل: أعرفها شيئاً ما ... ليس إلى حد الاتقان طبعاً .

يفن : (تبدو عليه علائم التفكير) ذى هابى جبسى ... ترى لماذا سموه هكذا ؟

بلاكويل: من السهل تعليل ذلك ياسيدي .

بيفن : كيف ؟

بلاكويل: ألم تقرأ ما كتبه (بورو) عن هولاء القوم ؟

بيفن : عن العرب ؟

بلاكويل: لا ياسيدى بل عن (الجبسيس)

بيفن : من (بورو) هذا ؟

بلاكويل: بورو ... جورج بورو ... أحد مشاهير كتابنا فى القرن التاسع عشر وهو يمتاز بأسلوب خاص فى الكتابة ... وقد كتب ...

بيفن : (نافد الصبر) مهلا يادكتور بلاكويل ... لا تسرد لى تاريخ حياة هذا الشقى ... فقد عرفت أنه كاتب وكفى !

بلاكويل: كان ينبغى ياسيدى أن تقرأ له ولو كتابا واحدا !

بيفن : إن وقتى ثمين لا أضيعه فى مثل هذه التوافه ! فقل لى ماذا كتب صاحبك هذا عن الجبسيس ؟

بلاكويل: صوّر كثيراً من مكرهم وحيلهم فى كتبه . لعلك فهمت الآن لماذا أطلق هذا الاسم على صاحب الكتاب الأزرق .

بيفن : إنك رجل مدهش حقا يادكتور بلاكويل !

بلاكويل: ليس فى هذا ما يدعو إلى الدهش ياسيدى فان العلم الذى تخصصت فيه يقتضى الالمام بأصول اللغات لاتصالها الوثيق بدراسة نفسيات الشعوب.

بيفن : (ينظر فى ساعته) أوه ... ضاع علينا ربع ساعة فى هذا العبث !

بلاكويل: ليس هذا عبثاً ياسيدى . إنه بحث سيكولوجى فيلولوجى سوشيولوجى ممتع !

بيفن : (متضايقا) دعنى من جيجياتك هذه ... ما لى ولهذه الكلمات التى لا معنى لها إلا فى أدمغة الفارغين أمثالك ؟ إن وقتى ثمين وأمامى صراع عنيف مع ذى هابى جيبى باشا الذى قد فرغ — لا شك — من استعداداته كلها لمنازلتى !

بلاكويل: (متلطفا) لا يخيفنك أمره ما دام هذا المخ الذى تعتز به الامبراطورية كلها فى رأسك !

يفن : (يلين لهجته) هذا حق ولكن لا بد من الاستعداد على كل حال .

بلاكويل: ها هوذا الاستعداد جاريا على قدم وساق .

يفن : ما إخال ذى هابى جبسى إلا قد فرغ الآن من اختيار البذلة وملامح الوجه وكيفية الابتسام الخ ... الخ ... بينما أنا لم أنجز حتى الساعة سوى اختيار لون البذلة !

بلاكويل: ما يزال أمامنا متسع من الوقت ياسيدى

يفن : كلا ... كلا ... يجب الاسراع .

بلاكويل: حسناً ياسيدى ... انظر وجهك فى المرآة .

يفن : هـــه ...

بلاكويل: قطّب وجهك قليلا

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: لا ليس هكذا ... هذا عبوس يدعو إلى السخرية والضحك ... جرّب تقطيبا آخر .

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: هذا ألعن وأضل سبيلا ... إنه يبعث النفور والاشمئزاز !

يفن : ويلك ... قل لى كيف أفعل ؟

بلاكويل: اقرن حاجبيك قليلا .

يفن : كذا ؟

بلاكويل: نعم ... لكن لا تعض شفتيك هكذا كأنك تريد أن تذبحهم ؟

يفن : فهل أفتحهما هكذا ؟

بلاكويل: كلا لا تفتح فمك هكذا كما يفعل الأبله المعتوه ! أطبق شفتيك ولكن بدون زم ولا عض !

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: نعم هكذا ... لكن أصلح عينيك

يفن : (يكظم غيظه) كيف أصلحهما ويلك ؟ ماذا بهما ؟

بلاكويل: نظرتهما هذه توحى بالقسوة والخبث . .

يفن : ما الحيلة ؟ هل أسترهما بنظارة سوداء؟

بلاكويل: كلا يجب أن يروا عينيك فهما مرآة الضمير . يجب أن يروهما كجدولين صافيين يترقرق فيهما الطيبة والوداعة !

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: لا . . اجعلهما كالجدولين الصافيين .

يفن : (يبذل جهدا كبيرا فى تفتيح عينيه) هكذا ؟

بلاكويل: لا يا سيدى . . أين الجدولان الصافيان ؟

يفن : (منفعلا) ما بقى إلا أن أركب فى نظارتى صنبورى ماء !

بلاكويل: (يقهقه ضاحكا) هى هى هى هى يا مستر يفن . .

يفن : (مزمجرا) أتضحك منى يا بلاكويل ! أتسخر بى ؟

بلاكويل: معاذ الله يا سيدى وإنما أضحكتنى النكتة (يغالب ضحكه)

يفن : ما هذا وقت التنكيت ولا أقبل أن أكون موضعا له !

بلاكويل: (يغالب الضحك) معذرة يا سيدى . . ظننتك تريد إضحاكى !

يفن : (بغضب وصرامة) عذر أقبح من الذنب !

بلاكويل: (يتكلف الجد والاهتمام) حسنا يا سيدى لنعد إلى ما كنا بصدده .. قرن الحاجبين ، إطباق الشفتين

يفن : هكذا ؟

بلاكويل: برافو ! . . . بقيت مشكلة العينين . افتحهما قليلا ... انظر كما لو كنت تحلم بشىء جميل

يفن : بأى شىء ؟

بلاكويل: تخيّل صورا جميلة : امرأة حسناء ... روضة غناء ... سماء صافية زرقاء ...

بيفن : هكذا ؟

بلاكويل: إى والله هكذا ! ها هما الجدولان الصافيان يفيضان بالوداعة والحنان !

بيفن : (يبتسم) هذا شعر يادكتور بلاكويل ... ثما إنك لشاعر أيضاً !

بلاكويل: كلا ياسيدي لا أجرؤ أن أدعى هذه الصفة

بيفن : أراهن على أن شعرك هذا خير من شعر المستر أتلى ألف مرة !

بلاكويل: ابق مبتسما هكذا ... هذه هى الابتسامة المطلوبة !

بيفن : (جذلان فرحا) أتقول الحق يادكتور بلاكويل ؟

بلاكويل: نعم .

بيفن : هذه ابتسامتى دائماً .

بلاكويل: إذن قد انتهينا أيضاً من أمر الابتسامة .

بيفن : (بصوت منغم) لكن إياك أن تخدعنى يادكتور بلاكويل !

بلاكويل: (هاتفا) الله ! ! وهذه النغمة المطلوبة أيضاً ... هذه النغمة المبحوحة الرقيقة المتناسقة ! هل تستطيع أن تلتزمها ياسيدى فى حديثك ؟

بيفن : (يشير بيده إشارة متئدة) هذا سهل جداً علىّ .

بلاكويل: (يتمايل طربا) الله ! ما أجمل هذه الاشارة الموزونة المعبّرة !

بيفن : (يعيد حركة يده كالمرة الأولى) هكذا ؟

بلاكويل: هذا توفيق عجيب . ما بقى أمامنا غير اختيار الجلسة .

بيفن : (يسحب كرسيا ليجلس عليه) علمنى الآن كيف أجلس .

بلاكويل: كلا ... لا يصلح هذا الكرسى القصير ... يجب أن يكون كرسيك عاليا بحيث يكون مستوى عينيك أعلى من مستوى عيونهم ... إن لذلك أثراً كبيراً فى ضمان انتصارك عليهم .

بيفن : خبّرنى يادكتور بلاكويل هل تضمن لى النجاح والانتصار إذا ما استكملت هذه الأمور كلها ؟

بلاكويل: نعم ... أضمن لك الانتصار الساحق !

يفن : شكراً ياعزيزى بلاكويل لقد أنعشتنى وزدتنى يقينا بالنجاح ... لن تدق (بيج بن) الليلة تسعا حتى ينتشر فى الدنيا كلها نبأ توقيع معاهدة بورتسموث !

بلاكويل: أجل ... أجل ... هذا مؤكد .

يفن : هذه معاهدة لها مابعدها ياعزيزى بلاكويل ... أتدرى ماذا يتلوها ؟

بلاكويل: ماذا ياسيدى ؟

يفن : سيرتفع على أساسها ذلك الصرح الشامخ ... صرح الدفاع المشترك بيننا وبين جميع دول الشرق الأوسط .

بلاكويل: هذا عظيم ياسيدى .

يفن : وسيذكر التاريخ غداً هاتين اليدين اللتين بنتا ذلك الصرح !

بلاكويل: بل سيذكر قبلهما هذا المخ الجبار الذى ستحفظه الجمعية الطبية أثرا خالداً للأجيال القادمة !

يفن : صدقت ... لولاه ما بنت اليدان شيئاً . هيا ياعزيزى بلاكويل أرنى كيف ينبغى لى أن أجلس .

بلاكويل: (يدير طرفه فى أنحاء الحجرة) ألا يوجد هنا كرسى أعلى من هذه الكراسى القصيرة ؟

يفن : جميع الكراسى هنا على ارتفاع واحد .

بلاكويل: (يمسك الكرسى) إذن فاجلس هنا على حافة المسند .

يفن : على حافة مسند الكرسى ؟

بلاكويل: نعم .

يفن : أخشى أن يميل بى فأقع على الأرض .

بلاكويل: كلا لا تخف . إنى ممسكه من خلفك .

يفن : (يعتلى الكرسى فيجلس على حافة مسنده) هكذا ؟

بلاكويل: نعم ... فابق الآن هكذا ... سأجلس أنا على كرسى أمامك .

يفن : كلا لا تتركنى ... ابق ممسكا بى .

بلاكويل: احفظ توازنك ... لا خوف عليك البتة (يجلس على كرسى أمام المستر يفن) أنت أعلى منى الآن .

يفن : (يترنح فوق مقعده) أدركنى ... إنى سأقع !

بلاكويل: كلا لن تقع إلا إذا أردت أنت الوقوع .

يفن : أنا لا أريد الوقوع ولكنى سأقع

بلاكويل: هذا ياسيدى عليا غير صحيح . أما شهدت قط بهلوانا يمشى على حبل معلّق ؟ إنما يحفظه من السقوط إرادته ألا يسقط .

يفن : من قال لك إننى بهلوان ؟

بلاكويل: لا فرق ياسيدى بينك وبينه ! اعتدل قليلا فى جلستك ... ارفع عنقك ... ضع رجلا على رجل ... لا تخف .

يفن : (يرتجف) هكذا ؟ (يختل توازنه فيسقط على ظهره)

بلاكويل: (قبل السقوط) نعم هكذا .

(بعد السقوط) لا لا ... ليس هكذا ! .

« ستار »

نشيد المارسيليز

— ١ —

(فى منزل النائب الفرنسى المسيو مارماريه)

(تبدو مدام مارماريه جالسة أمام مرآتها تتزين — يدخل المسيو مارماريه)

مارماريه : صباح الخير يامرغريت !

مرغريت : ويلك ياجان ، ، أتقتحم الحجرة هكذا بدون استئذان ؟

مرغريت : لا تؤاخذينى ياحبيبتى .. انى عن كل هذا فى شغل .

مارماريه : (تلحظ المسدس فى يده) وفى يدك المسدس ! ماذا كنت تتوقع أن تجد عندى فى الخدع ؟ عشيقاً ؟ أما لغيرتك القذرة من آخر ؟

مارماريه : يامرغريت إنما جئت لأخبرك بانى خارج الآن فلا تنتظرينى على الغداء .

مرغريت : تُرى من هى العشيقة التى تريد أن تتغدى معها اليوم ؟

مارماريه : أأذهب إلى العشيقة بمسدسى ؟

مرغريت : لعل لك منافساً عليها تريد قتله ؟

مارماريه : (يتنهد) ياليتنى أستطيع قتله ؟

مرغريت : من هو ؟

مارماريه : دى موتان

مرغريت : (تتضاحك) أما زلت تظن أن لى به علاقة ؟ قلت لك ألف مرة إننى قد قطعت صلاتى به من عهد بعيد .

مارماريه : ما أقصد هذا يامرغريت . الأمر أجل من ذلك وأخطر . ألم تعلمى بما حدث مساء أمس فى مجلس النواب ؟

مرغريت : ما قرأت الصحف اليوم ، فماذا حدث ؟

مارماريه : لطمنى النذل فى المجلس .

مرغريت : لطمك ! أما إنه لشرس ، وهل تركته دون أن تثأر منه ؟.

مارماريه : دعوته للمبارزة .

مرغريت : فلبى الدعوة ؟

مارماريه : نعم .

مرغريت : ياويلى .. أتريد أن تجعلنى أرملة وأنا فى هذه السن بعد ؟

مارماريه : ماكان أمامى من سبيل آخر لغسل الاهانة .

مرغريت : لم لم تخبرنى بهذا قبل الآن ؟

مارماريه : لوكنت البارحة هنا لأخبرتك. أنسيت أنك بت البارحة عند والدتك

مرغريت : عند والدتى ؟

مارماريه : عجباً . ألست البارحة عند والدتك ؟

مرغريت : (مرتبكة) : بلى ياعزيزى ولكن ..

مارماريه : (فى شىء من الحدة) لكن ماذا ؟

مرغريت : كان عليك أن تأتينى هناك وتخبرنى بهذا الحادث الخطير .

مارماريه : (يسرى عنه قليلا) لم أشأ أن أزعجك وأزعج والدتك بالليل .

مرغريت : لكنه أمر خطير لاحق لك أن تؤجل إخبارنا به ولو أزعجتنا من نومنا .

مارماريه : أشكرك يامرغريت على لطف شعورك ، ولكن نفسى لم تطوّع لى أن أزعجك من نومك بأى حال .

مرغريت : هذا حسن منك ياحبيبى . أفلا يعز عليك أن تعرّضنى للترمل الآن.؟

مارماريه : لا تخافى يا حبيبتى ، فإنى أرجو أن أنتصر على هذا النذل .

مرغريت : وإذا انتصر عليك ؟

مارماريه : كان ذلك من سوء حظى .

مرغريت : فأنا لا أنيط مستقبلى بانتصار غير مضمون .

مارماريه : إن قلبي يحدثنى أننى سأقهره وسيكون ذلك خير جزاء لى على هذه المغامرة ، إذ أتخلص من هذا الوغد الذى طالما اشتاقت نفسى إلى قتله

مرغريت : هذا شعورك أنت ، وعليك أن تعتبر شعورى أنا أيضاً .

مارماريه : ماذا تعنين ؟

مرغريت : معقول أن تكره من يعشق زوجتك ولكن ليس بمعقول أن أكره من يعشقنى .

مارماريه : (مغضبا) إذن فأنت تحبينه وتخافين عليه منى .

مرغريت : كلا لا أحبه ولا أخاف عليه منك ، بيد أنى لست أحمل له من الكراهية مايجعلنى أغامر بمستقبلى فى سبيل التخلص منه كما تفعل أنت . فافهم هذا التحليل البسيط ولا تضطرنى إلى أن أرميك بالغباوة

مارماريه : فماذا أصنع الآن ؟ أتريدين منى أن أعتذر له عن المبارزة فيعيّرنى أمام الناس بالجبن ؟

مرغريت : حاشاى أن أرضى أن يرمى الناس زوجى بالجبن ، ولكن دع هذا الأمر لى فسأسويه لك .

مارماريه : كيف ؟

مرغريت : (تقوم من مقعدها أمام المزيان ، وتفتح صوان ملابسها لترتدى لها فستانا) سأذهب الآن إلى دى موتان وأحمله على الاعتذار عن المبارزة .

مارماريه : تذهبين أنت اليه ! لا يامرغريت ... لأن يقتلنى هو أهون عندى من ذلك .

مرغريت : لاشأن لى بما تحب وماتكره . إن لى مطلق الحرية فى اتخاذ الوسيلة التى تكفل لى سلامة زوجى .

مارماريه : لكن هذه وسيلة شائنة . ماذا يقول الناس عنى ؟

مرغريت : اطمئن ياحبيبي . فسأتصل بهعلى انفراد ، ولن يعلم أحد بهذه الزيارة

مارماريه : مثل هذا لا يمكن أن يخفى يا مرغريت .

مرغريت : إنه يقيم وحده فى المنزل .

مارماريه : يقيم وحده ! إذن لا أدعك تذهبين إليه وهو يقيم وحده .

مرغريت : عجباً لك أما تحب أن يكتم هذا السر عن الناس ؟

مارماريه : لا بل دعى الناس جميعا يعلمون . . قابليه فى النادى أو البار .

مرغريت : إن كنت لاتبالى أن يرميك الناس بالجبن فإنى لاأرضى ذلك لزوجى ، فدعنى أتصرف كما يحلو لى .

مارماريه : لكن . . .

مرغريت : كفى اعتراضا ومجادلة . لقــد قررت رأيى ولا حاجة بى إلى مشورتك .

مارماريه : سيكون ذلك على مسئوليتك

مرغريت : نعم على مسئوليتى (تنظر النظرة الأخيرة فى المرآة وقد أتمت زينتها) انتظر هنا ولا تغادر المنزل حتى أعود إليك . أورفوار شيرى (تخرج)

مارماريه : (يقف أمام المرآة وحده)قد تكون هذه تضحية قاسية . . ولكن من يدرى لعله يقتلنى فى المبارزة فيستولى على مرغريت . فهذا أهون الشرين على كل حال . . مسكينة مرغريت . إنها تحبنى !

— ٢ —

(فى مكتب وزير المستعمرات الفرنسية بباريس)

الحاجب : مسيو مارماريه ومسيو دى موتان .

الوزير : دعهما يتفضلا . (يخرج الحاجب)

الوزير : ماذا عساى أن أقول لهؤلاء الجبناء الذين أوشكوا أن يضيعوا هيبة فرنسا ؟

(يدخل مارماريه ودى موتان)

الرجلان : صباح الخير يا معالى الوزير .

الوزير : صباح الخير . . . تفضلا .

الرجلان : (يجلسان أمام مكتبه) ها نحن أولاء قد جئنا تلبية لدعوتك .

الوزير : أهلا بكما . . ما هذا الذى بلغنى عنكما ؟ أصحيح أنكما ألغيتما المبارزة؟

دى موتان : نعم يا معالى الوزير .

الوزير : ما الذى دعاكما إلى ذلك ؟ ألم تعلما أن عدولكما عن المبارزة بعد إعلانها سيكون له أثر سيء على سمعة فرنسا ؟

مارماريه . على سمعة فرنسا ؟

الوزير : نعم . . سيكون سببا لضياع هيبتها من صدور المغاربة والفيتناميين والدغشقريين وغيرهم من أهالى المستعمرات .

دى موتان : وماذا يدرى أهالى المستعمرات بحادث شخصى قليل الأهمية كحادث مبارزتنا التى ألغيناها ؟

الوزير : أنسيتما أن الصحافة عندنا حرة تنشر من الأخبار ما تشاء وتتناول من الشؤون الخاصة والعامة ما تريد دون ما رقيب ؟ ياليت هؤلاء الصحفيين يعلمون أن كثيراً مما تخطه أقلامهم يسبب لنا متاعب كثيرة فى مستعمراتنا ، ويقلل من هيبتنا فى صدور أهلها ، فيكفوا عن كتابة ما لايحسن وقعه فى صدور هؤلاء .

مارماريه : لايمكن تقييد الصحافة فى بلادنا طبعا .

الوزير : ولايجوز إطلاع أهالى المستعمرات على كل ما يجرى فى بلادنا ، وإلا احتقرونا ، وقوى اعتقادهم فى إمكان التخلص من سيطرتنا .

دى موتان : فى وسعكم أن تمنعوا وصول هذه الصحف الحرة إلى المستعمرات ولاتأذنوا بدخولها إلا لصحف معينة .

الوزير : هذا ما تجرى عليه سياستنا فعلا ، بيد أن رجال الصحافة عندنا لايعدمون حيلا جهنمية لتسريب صحفهم إلى تلك البلاد طمعا

فى الرواج — لقد استطعنا أن نمنع وصول الصحف والكتب العربية من مصر والشام إلى بلاد المغرب ، ولكننا مع الأسف لم نستطع منع الصحف الفرنسية من دخول تلك البلاد وغيرها من المستعمرات .

مارماريه : ماذا يهم أهالى المستعمرات من نبأ فردى تافه كنبأ مبارزتنا أو إلغائها ؟

الوزير : إنك لا تعرف نفسية أولئك العبيد . إن من أشهى الأمور إلى نفوسهم أن يتسقطوا أنباء الفضائح الخلقية والاجتماعية التى تحدث فى فرنسا ، إذ يجدون فيها مايؤكد لهم أن الفرنسيين ماهم إلا بشر مثلهم . تصوراً كم يكون فرحهم حين يسمعون أن نائبين فرنسيين قد جبنا عن النزال وعدلا عن المبارزة بعد ما اتفقا عليها على رؤوس الأشهاد !

مارماريه : سيقولون إنهما تصافيا بعد الخصام وكفى .

الوزير : كان فى الامكان أن يقولوا هذا فيما مضى حين كانت هيبة فرنسا تملأ صدورهم . أما اليوم فهذه فيتنام تصلينا ناراً حامية ، وهذه بلاد المغرب تتحفز أقطارها الثلاثة للثورة العامة مولية وجهها شطر الجامعة العربية .. حتى مدغشقر تجرؤ على أن تحدث نفسها بالاستقلال ! إن هؤلاء لن يتخذوا عدو لكما عن المبارزة إلا برهانا على ما شاع عندهم من غلبة الجبن والخور على نفوسنا منذ سقطت بلادنا فى أيدى الألمان .

دى موتان : فماذا تريد منا أن نصنع الآن ؟

الوزير : عليكما أن تجريا المبارزة فى أوانها المحدد .

دى موتان : أنعرض أنفسنا للموت المحقق من أجل خوف موهوم على سمعة فرنسا ؟

مارماريه : أما من سبيل آخر غير هذا لتثبيت هيبة فرنسا ؟

الوزير : بل هناك سبل أخرى كثيرة سنسلكها جميعا ولكنها لاتغنينا عن هذا السبيل .

دى موتان : هب أن الاتفاق على المبارزة لم يقع البتة .

الوزير : ولكنه وقع مع الأسف وأعلنته الصحف العالمية .

مارماريه : هب أن دى موتان ما صفعنى فى مجلس النواب .

الوزير : ولكن الواقع أنه صفعك .

دى موتان : هب أنه ما دعانى إلى المبارزة حين صفعته .

الوزير : ولكنه دعاك !

مارماريه : هب أنه اعتذر عن التلبية حين دعوته للمبارزة .

الوزير : إن شيئا من هذا لم يقع ، بل الواقع أنه لباك إليها ولم يعتذر .

دى موتان : إننا قد تصافينا بعد الخصام فلم يعد لاستئناف المبارزة بيننا أى معنى

الوزير : قد يكون هذا صحيحا فيما يختص بكما . أما فيما يتعلق بوطنكما فلا . إنى والله لا أدرى ما سر هــذا التشدد منكما فى الامتناع بعد ما شرحت لكما الأسباب . هل لى أن أكلمك يا مسيو دى موتان على انفراد ؟

مارماريه : « ينهض واقفاً » كأنك تريد منى أن أنصرف .

الوزير : لا يا مسيو مارماريه ، بل انتظرنى فى الغرفة الأخرى إذا شئت ، لأنى أريد أن أتحدث إليك أيضا .

مارماريه : بكل سرور .

الوزير : شكراً يا مسيو مارماريه (يخرج مارماريه) .

الوزير : قل لى يا مسيودى موتان ما الذى دعاك إلى هذا التصلب والتشدد ؟ بحياتك اشرح لى جلية الأمر .

دى موتان : هل تعدنى بكتمان السر ؟

الوزير : أقسم لك بذلك .

دى موتان : إن مدام مارماريه زارتنى فى بيتى وتوسلت إلىّ بكل ماتملك ، فوعدتها بإلغاء المبارزة . وإنى أخشى غضبها إذا أنا رجعت فى وعدى .

الوزير : ماذا يهمك غضبها ؟

دى موتان : إنها تعز علىّ كثيراً .

الوزير : ماذا . . أتحبها ؟

دى موتان : حباً جماً ، وهذه فرصة أتيحت لى للمواصلة فلن أضيّعها أبداً .

الوزير : أدركت الآن

دى موتان : لاشك أنك تقدر شعورى .

الوزير : طبعا . طبعا . أتحسبنى بليد الإحساس ؟

دى موتان : معاذ الله . إنك — ما علمت — لأرق الناس شعورا .

الوزير : (يتضاحك) قل لى أهى جميلة جداً ؟

دى موتان : أهى جميلة جدا ! هذه إهانة لمرغريت واتّهام لذوقى .

الوزير : أهذا اسم مدام مارماريه ؟

دى موتان : نعم . أتريد اسما أعذب من هذا ؟

الوزير : بربك صفها لى :

دى موتان : صفها ؟ كيف أصفها ؟ إنهـا الجمال كله يخطر فى فستان . . إنها .. لا لا أزيد على هذا أخشى أن تدفعنى دفعا إلى الموت ليخلو لك الجو !

الوزير : ما أظن مارماريه يغلبك فى المبارزة .

دى موتان : من يدرى ؟ إن المنايا حظوظ .

الوزير : هل لك الآن أن تدعو لى زوج مرغريت وتنتظر أنت مكانه ؟

دى موتان : (ينهض) بكل سرور (يخرج) .

الوزير : عجبا لى . كيف لا أعرف مدام مارماريه إلى اليوم . لقد ذهبت أيامك يا دون جوان ! !

(يدخل مارماريه فيجلس)

الوزير : لقد شرح لى المسيو دى موتان كل شىء .

مارماريه : ويل للنذل !

الوزير : لا لا تغضب يامسيومارماريه فقد أقسمت له لأكتمن السر .

مارماريه : فماذا تريد منى إذن ؟

الوزير : ألا ترى أن الأولى بك أن تبارزه فتتخلص منه ؟ هذه فرصة أتيح لك فيها أن تقتله دون أن تدينك العدالة. فما يمنعك من اغتنامها ؟

مارماريه : إنى أعلم أنه لا يمكن أن يقبل شفاعة زوجى إلا بثمن

الوزير : فسيعفيها استئناف المبارزة من دفع الثمن ؟

مارماريه : ما يدرينى ألا يكون قد قبض الثمن ؟

الوزير : ما أحسبها من السذاجة بحيث تعطيه الثمن قبل تسلّم البضاعة .

مارماريه : وأخشى أيضا أن أصاب أنا فى المبارزة فيستولى الوغد على زوجتى غنيمة باردة .

الوزير : هذه مشكلة لا ندرى كيف نحلها (يطرق مفكراً) .

مارماريه : إن ما اتفقنا عليه من إلغاء المبارزة هو الحل الوحيد .

الوزير : ولكن فرنسا . . فكّر فى أمك فرنسا . لابد من إنقاذ سمعتها المهددة .

مارماريه : لا خوف على فرنسا .

الوزير : (مقاطعا) صه . هأنذا قد خطرت لى فكرة .

مارماريه : ما هى ؟

الوزير : قم فادع لى المسيو دى موتان .

(يخرج مارماريه)

الوزير : (يمر أصابعه على جبهته) هذا حل مدهش . فكرة بارعة . حقاً إنى لحلاّل المعضلات !

(يدخل مارماريه ودى موتان)

الوزير : لقد فكرت فى مشكلتكما فاهتديت إلى حل يوفّق بين رغبتكما الخاصة ورغبتنا فى إنقاذ سمعة فرنسا .

دى موتان : هذا جميل .

الوزير : ستجرى المبارزة فى أوانها المعلوم

مارماريه : كلا لن يكون هذا حلا للمشكلة .

دى موتان : هذا ما كنا عنه نحيد .

الوزير : لا تعجلا بالاعتراض . لن تقوما أنتما بالمبارزة .

مارماريه . فمن ذا يقوم بها ؟

الوزير : سنكلّف بالقيام بها جنديين ملوّنين أحدهما مغربى والآخر هند صينى على أن يدعى أحدهما مارماريه والآخر دى موتان ، فمن قتل منهما فعلى سميه أن يتوارى من مسرح الحياة فى باريس وينتحل اسماً آخر فى إحدى قرى الريف حتى ينسى الناس أمره بعد عشرة أعوام أو نحوها ، وحينئذ يجوز له الرجوع إلى باريس .

مارماريه : هذه فكرة مدهشة !

دى موتان : مدهشة حقا يستحق عليها معالى الوزير حفلة نشرب فيها نخب صحته وتوقد ذهنه ورقة شعوره !

مار ماريه : حقاً إنه لجدير بأن نقيم له حفلة .

الوزير : شكراً لكما .. بل اسمحا لى أن أدعوكما الليلة للعشاء فى الامباسادير اعترافا لكما بفضل الموافقة على هذا الحل الذى سينقذ سمعة فرنسا فما رأيكما ؟ .

دى موتان : هذه دعوة لا نستطيع رفضها .

مار ماريه : لا يسعنا إلا القبول يا معالى الوزير .

الوزير : ألا تريان أن هناك شخصا رابعا ينبغى أن يشهد الحفلة معنا ؟

مار ماريه : من هو ؟

الوزير : شخص كان له الفضل فى حقن دمائكما على هذا الوجه .

دى موتان : لعلك تعنى مدام مار ماريه .

الوزير : ما أعنى سواها .

مارماريه : هذه التفاتة كريمة منك يا معالى الوزير .

الوزير : أحسب أنها ستسر كثيراً بشهود الحفلة .

مارماريه : لا شك . وسيكون ذلك شرفاً لها .

الوزير : إذن فإلى اللقاء الساعة السابعة فى الامباسادير !

مارماريه : إلى اللقاء (يخرج) .

دى موتان : إلى اللقاء . . (بصوت خافض) حذار يا رجل . . إنى لك بالمرصاد ! (يخرج) .

الوزير : (يتنفس الصعداء ويتمطى) رجعت أيامك يا دون جوان ! . . إنها الجمال كله يتخطر فى فستان ! !

— ٣ —

(فى مكان المبارزة بغابة بولونيا — يقف الشهود والمتفرجون فى نصف دائرة وبينهم وزير المستعمرات وقد وقف أمامهم الجنديان المتبارزان).

الوزير : واحد . . اثنان . . ثلاثة ! (يتعالى الصفير وصيحات الاستنكار من جمهور المتفرجين) .

الوزير : (بأعلى صوته) مارماريه . . دى موتان ! مالكما لم تتحركا ؟ ويلكما . . أجبتما عن النزال ؟

الجندى المغربى: كلا . . سنريكم الآن كيف يكون النزال .

الوزير : لقد أعطيت الإشارة فلم تتحركا .

المغربى : (لمبارزه) اسمع يا مارماريه !

الجندى الهند صينى : لست مارماريه . . أنا تيان كاى .

المغربى : اسمع يا أخىَ ياتيان كاى . .

الهند صينى : نعم يادى موتان !

المغربى : لست دى موتان . . أنا ثابت بن مهدى . . أرأيت إلى هؤلاء الجبناء كيف يدفعوننا ليقاتل بعضنا بعضا لينتحلوا هم شجاعتنا فى النهاية !

الهند صينى : أجل وليستروا جبنهم عن العالم .

المغربى : أرأيت إلى هذا الوزير المأفون كيف يرمينا بالجبن وهو يعلم أن المغاربة والفيتناميين هم الذين دافعوا عن فرنسا وسقطوا صرعى فى ميادين القتال ، وأن أبناء جلدته هم الذين خروا ساجدين تحت أقدام هتلر !

الهند صينى : وهو اليوم يحملنا على أن نقوم بتمثيل هذه الهزلة السخيفة ليوهم العالم بأن النائبين الفرنسيين دى موتان ومارماريه لم يجبنا عما تورطا فيه من إعلان المبارزة .

الوزير : (صائحا بغضب) اقبضوا على العبدين النذلين !

المغربى : فى وسعكم أيها الفرنسيون الجبناء أن تقبضوا علىّ وعلى أخى وزميلى هذا وتخمدوا أنفاسنا إذا شئتم ، ولكنكم لن تستطيعوا أن تخمدوا نيران الثورة التى تتأجج فى صدور المغاربة والفيتناميين وغيرهم ممن تدعونهم عبيداً لكم وهم الأحرار وأنتم العبيد !

الهند صينى : أظننتم أيها الفرنسيون الجبناء أننى سأفرغ رصاصى فى صدر هذا الأخ المغربى ؟ ويلكم . ليحتفظن كلانا برصاصه ليفرغه فى صدور قوم آخرين !

(يقبض الجنود عليهما ويسحبونهما من الميدان وهما يلعنان ويسبان)

الوزير : (قائما يخطب فى وسط ضجيج المتفرجين) اسمعوا أيها السادة . . أصغوا لى أيها السادة . .

(يهدأ الضجيج رويدا رويدا)

الوزير : أيها السادة . . لعلكم دهشتم لهـذا المشهد العجيب الذى رأيتم ، ولعلكم تتساءلون عن وجه الحقيقة فيه ، فاعلموا إذن أن هذا الذى شهدتموه آنفاً إنما هو مشهد تمثيلى كلّفنا هذين الجنديين الملونين أن يقوما به تمهيداً للمبارزة الحقيقية التى ستجرى الآن بين النائبين الفرنسيين الباسلين المسيو دى موتان والمسيو مارماريه . وها قد نجحت التجربة والحمد لله ، فقد شهدتم رأى العين ما ثبت للعالم جميعاً بالبرهان القاطع أن فرنسا لم تعتمد ولن تعتمد إلا على شجاعة أبنائها الفرنسيين الأقحاح ، فإلى هؤلاء يرجع الفضل فى كل ما أحرزته فرنسا من النصر فى ميادين القتال . أما الجنود الملونون فهؤلاء لا يغنون عنها شيئاً ، بل تقع عليهم التبعة فيما أصاب فرنسا من الهزيمة فى بعض الميادين .

أصوات : « تتعالى من الجمهور » : يحيا الفرنسيون الأبطال ! يسقط الملونون الجبناء ! تحيا فرنسا الباسلة !

الوزير : أين دى موتان ومارماريه ؟

(يقترب دى موتان ومارماريه منه)

الوزير : لقد وجب عليكما الآن أن تتبارزا .

دى موتان : لكنى وعدت مدام مارماريه ولا قبل لى بغضبها !

الوزير : فى وسعك أن ترضيها فيما بعد . دع المناقشة الآن وخذ طبنجتك ... وأنت يامسيو مارماريه خذ طبنجتك واستعد .

مارماريه : لكن دى موتان قد قبض الثمن !

الوزير : إنما قبض بعض الثمن فاقتله ولا تدعه يقبض الثمن كله !

مارماريه : لكنه قد يقتلنى !

الوزير : إذن يريحك من الحيرة ويريح زوجتك .

مارماريه : أخشى أن يخلو له الجو ...

الوزير : لاتخف ... سأكون له أنا بالمرصاد !هيا تقدما إلى الميدان وأنقذا سمعة فرنسا !

(يتقدمان إلى ميـدان المبارزة وبأيديهما طبنجتاهما) .

هتافات : يحيا أبناء فرنسا البواسل . تحيا فرنسا الباسلة !

الوزير : أيها السادة الزموا الهدوء والسكينة ... سأعطى الإشارة الآن ... استعدا أيها النائبان الباسلان ... أريا العالم كله نموذجا من شجاعة أبناء فرنسا ! ... استعدا ... واحد ... اثنان ... ثلاثة !

(يغمض المتبارزان عيونهما ويطلقان فى الهواء ثم يترنحان ويسقطان مغشياً عليهما) .

الوزير : (من خـــلال ضجيج الجمهور) يا رجال الإسعاف دونكم جثتى الشهيدين سجّوهما واحملوهما ...

(ينطلق رجال الاسعاف فيوارون الجثتين فى عربتهم)

الوزير : أيها السادة ترحموا على النائبين الفرنسيين الباسلين مارماريه ودى موتان ... لقد سقطا شهيدين فى ساحة الشرف ... ولتحى فرنسا !

(يترنم الجميع بنشيد المارسيلز)

(ستار)

راشيل والثلاثة الكبار

في قصر إسرائيل بتل أبيب حيث تقيم راشيل الكبرى ويقيم معها حاجبها دافيد بن جوريون .

ترى راشيل في مخدعها جالسة وقد انتفخ بطنها من ثقل الحمل . وهى منهمكة في تبدير وجهها وتحمير شفتيها وتزجيج حاجبيها ، تساعدها في ذلك وصيفتها جولدا ميرسون .

راشيل : كيف ترينني الآن يا جولدا ؟

جولدا : رائعة يا سيدتي !

راشيل : والتجاعيد ؟

جولدا : اختفت تماماً . . إن من يرى وجهك نضراً هكذا لا يحسب سنك أكثر من ثمانية عشر ربيعاً . إن شبابك يا سيدتي يتجدد دائماً .

راشيل : لكن هذا الجنين الذي شوه بطنى . . ما حيلتي فيه !

جولدا : هذا مجد إسرائيل يا سيدتي . . لا ينبغي أن تبرمي به فهو فخرك وفخر شعبنا جميعاً .

راشيل : أجل يا جولدا ولكنه يصرف عنى عيون الرجال كما ترين !

جولدا : لا بأس أن تصبري قليلا يا سيدتي ... إن هي إلا أيام معدودة وتضعين الطفل الموعود وتعود الرشاقة والفتنة !

راشيل : والآن لا رشاقة ولا فتنة ؟

جولدا : الرشاقة يحجبها هذا الحمل إلى حين أما الفتنة فباقية !

راشيل : إن الفرسان الثلاثة آتون يا جولدا . فهل تظنين أنى سأفتنهم ؟

جولدا : ثقي يا سيدتي أنك ستفتنينهم !

راشـيل : وأنا على هذه الحال ؟

جولدا : لم لا ؟ إن فى وجهك إشراقاً عجيباً لا شك عندى أنه مستمد من نور الطفل الموعود الذى تحملينه فى أحشائك !

(يدخل دافيد بن جوريون)

بنجوريون : جون بول يا سيدتى قد حضر ، فهل أنت مستعدة ؟

راشيل : نعم . . قده إلى هنا يا دافيد !

(يخرج بنجوريون) .

جولدا : هل أرفع يا سيدتى هذه الأدوات ؟

راشيل : هاتى الغطاء أولا يا جولدا . . ألقيه على بطنى !

جولدا : سمعا يا سيدتى (تنشر الغطاء على بطن راشيل ثم تحمل أدوات الزينة وتضعها فى أماكنها) .

راشيل : (تنظر فى المرآة التى بيدها) إن جونبول لرجل عنيد . ليت شعرى هل أستطيع اليوم أن أقنعه بمشروعى ؟

جولدا : هذا الوجه الوضىء كفيل بإقناعه إن كان فيه ذرة من شعور !

راشيل : هو بارد كالثلج !

جولدا : حرارتك كفيلة بتصييره ماء يغلى !

(يدخل جون بول يتقدمه بنجوريون) .

راشيل : هل أنهض لك يا عزيزى جون بول ؟

جون بول: شكرا يا عزيزتى راشيل . لا تكلفى نفسك هذه المشقة وأنت حبلى متم ! (يصافحها ويقبل يدها) .

راشيل : قد شوهنى هذا الحمل . . أليس كذلك ؟

جون بول: كلا ... أنت جميلة دائما يا راشيل !

راشيل : (لجولدا وبنجوريون) هل لـكما أن تدعا السيد جون بول يأخذ راحته ؟ (ينسحبان)

جون بول: كلا ... دعيهما يا راشيل ... لا داعى إلى ذلك

راشيل : دعنا وحدنا ... لا نستريح إلا وحدنا ... اقعد هنا بجنبي .

جون بول: (يقعد على كرسى أمامها) بلغنى أنك أصبت بنزيف

راشيل : قد شفيت منه ... ألا يسرك هذا ؟

جون بول: بلى يا راشيل ، فما الدواء الذى قطعه عنك ؟

راشيل : لقد أصابنى النزيف من اغتمامى لانتصارات العرب ثم شفانى منه سرورى بانكساراتهم بعد ذلك .

جون بول: دواء عجيب ! لعلك تشكرين الصيدلى الذى قام بتحضيره !

راشيل : أنا تحت أمر هذا الصيدلى الآن فليأمرنى بما يشاء !

جون بول: شكرا يا راشيل .

راشيل : ثق أنه قد انقطع تماما

جون بول: (يخرج سيجارا فيشعله) : ألا تخبرينني يا راشيل عن الأمر الهام الذى دعوتنى من أجله .

راشيل : سيكون لنا متسع من الوقت لبحثه فيما بعد .

جون بول: بل عجّلى به الآن فأنى على موعد .

راشيل : إن مشروعى يحتاج إلى إصغاء منك ، فإن كنت غير مستعد لسماعه الآن فعد إلينا مرة أخرى

جون بول: ما جئت إلا لسماعه يا راشيل ، فما هو ؟

راشيل : إنى كما ترى فى شهرى التاسع ، وسأضع المسيح الموعود بعد أيام قلائل ، وقد علمت أنه سيجمع شتات اليهود ، ويعيد الهيكل ، وينشىء مملكة إسرائيل التى ستسيطر على العالم كله .

جون بول: نعم . . هذه عقيدتكم . . فما هو مشروعك ؟

راشيل : نحن بحاجة إلى حليف قوى يشاركنا فى عبء القيام بإنشاء هذه الدولة العالمية الكبرى ويقاسمنا إياها ، وما ذلك الحليف القوى إلا أنت !

جونبول : قد أصبحت اليوم ضعيف الحول كما تعلمين .

راشيل : هذه فرصة لاستعادة حولك وقوتك ، واسترجاع ما فقدت من امبراطوريتك ، فلا تضيعها فربما لا تعود !

جونبول : أغلب ظنى أنك قد عرضت هذا الاتفاق نفسه على الدب الأحمر ، وأنه قد قبل التعاون معك !

راشيل : كلا .

جونبول : ألم يقبل ؟

راشيل : ما عرضنا عليه أى اتفاق .

جونبول : هناك دلائل ياراشيل . . كتأييده الشديد لمشروع التقسيم .

راشيل : رأى الحق فى جانبنا فأيده !

جونبول : (يضحك) الحق !

راشيل : نعم

جونبول : وقيام اليهود بترويج الأفكار الشيوعية فى كل مكان ؟

راشيل : معظم هؤلاء لا سلطان لى عليهم .

جونبول : والذين فى فلسطين منهم ؟

راشيل : قليل جدا من هؤلاء شيوعيون .

جونبول : بل كثير جدا يا راشيل ، ولولا الرقابة الشديدة على المهاجرين اليهود وتصفيتهم فى قبرص لكان جميع الذين دخلوا منهم فلسطين من الشيوعيين الذين جاءوا لترويج الشيوعية فى الشرق الأوسط .

راشيل : ثق أن هؤلاء سيتخلون عن شيوعيتهم عما قريب .

جونبول : والقواد الروس الذين وجد العرب جثثهم بين القتلى ؟

راشيل : أولئك من النفر القليل الذين تطوعوا للقتال فى سبيل الشعب اليهودى وليس لنا أن نمنعهم من ذلك .

جونبول : لكن هؤلاء الحمر لا يتطوعون مجانا !

راشيل : مهما يكن أمرنا فنحن بطبيعتنا رأسماليون ، فلا يمكن أن نكون شيوعيين مخلصين ،وإنما ننتحل الشيوعية كأداة لقضاء أوطارنا فحسب

جونبول : قد تنظرون هذه النظرة إلينا أيضا !

راشيل : كلا يا عزيزى جونبول . . إن أغراضنا متفقة تماما . . كلانا رأسمالى وكلانا يحب التوسع الاستعمارى .

جونبول : قد شبعت قديما من التوسع الاستعمارى فأضحت نفسى تعافه . . ولكن عندك من هو أصلح منى لهذا الغرض فاتفقى معه .

راشيل : من ذا تعنى ؟

جونبول : محبك الولهان العم سام !

راشيل : دعنى منه فانه لا يصلح

جونبول : إنه أغنى الناس !

راشيل : كل غناه فى يدى !

جونبول : فهذا يجعل لك النفوذ عليه ويساعدك فى تنفيذ مشروعك .

راشيل : نعم .. لو شئت لأمرت هذا الخنزير الغبى فتمرغ فى التراب بين قدمىّ وهو مغتبط سعيد ! ولكنى بحاجة إلى هذا العقل الذى فى رأسك .. فإذا اتحدت معى فسنكون مركز الثقل فى هذا العالم المشطور إلى كتلتين فنخضعهما معا لإرادتنا . . أعتقد أن هذا برنامج يستحق منك الاهتمام ؟

جونبول : لكنى مسيحى ، ولا أستطيع أن أومن بخرافة مسيحكم الموعود ، فالقول بها كفر صريح بالسيد المسيح .

راشيل : لا داعى للنفاق بيننا والمداهنة . أنت تعرفنى وأنا أعرفك . لا أنت مؤمن بدينك ولا أنا مؤمنة بدينى . ولكنها خرافة نجمع عليها دهماء الشعب فننال بها منهم التأييد الدينى العميق .

جونبول : ويلك من يهودية صحيحة !

راشيل : (تضحك) ويلك من مسيحى زائف !

جونبول : والرؤيا التى رأيتها هل تؤمنين بها ؟

راشيل : نعم ، . أومن بها ، لأنى أنا بنفسى اخترعتها !

جونبول : بديع !

راشيل : مسكينة أمك !

جونبول : ما بالها ؟

راشيل : كانت تريبنى إذ قصصت عليها هذه الرؤيا،فظلت مصدقة بها إلى اليوم!

جونبول : أؤكد لك يا رشيل أن أمى حدثتنى ذات يوم أنك اخترعت هذه الرؤيا وأنها أظهرت تصديقها مجاملة لك !

راشيل : ما اشد مكرها من عجوز !

جونبول : هلا قلت : ما أرق شعورها ! إنك لجحود يا راشيل !

راشيل : أنا لا أجحد فضلها علىّ ولكنى أكره الصنيع الذى لا يتمه صاحبه فهل لك يا سيدى جونبول أن تتم صنيع أمك ؟

جونبول : لقد أتممت صنيع أمى ولكنك لا تشكرين . ألم أنقذ جنودك من أيدى العرب فى كل معركة يستنجدون بى فيها؟ ألم أترككم تذبحون أطفال العرب ونساءهم وشيوخهم وأنا واقف أسمع صوت ضميرى يؤنبنى فأتصامم عنه ؟ ألم أخدع العرب عن حيفا فسلمتها إلى أيديكم بغتة ؟ ألم أرجع إليك فى تحديد موعد انتهاء الانتداب فاعتمدت اقتراحك بجعله يوم ١٥ مايو ؟

راشيل : كنت أظن أنى سأضع طفلى قبيل ذلك التاريخ ، ولكنى أخشى اليوم أن يتأخر موعد الوضع . فهل لك أن تمد أجل الانتداب عشرة أيام أخر ؟ ألم يخاطبك الخنزير الغبى فى هذا ؟

جونبول : بلى قد خاطبنى فى ذلك ولكن حكومتى لا تقدر أن تواجه الشعب بتأجيل هذا القرار ولو يوما واحدا .

راشيل : قد ينتهى الانتداب قبل أن أضع مولودى فكيف أعلن حينئذ قيام دولة إسرائيل ؟

جونبول : ماذا عليكم لو أخرتم إعلان قيامها حينئذ حتى تلدى الطفل الموعود ؟

راشيل : سينادى العرب بطفلهم المقمّط ملكا على فلسطين وسيبهرون الدنيا بطفل يكلم الناس وهو فى المهد !

جونبول : ليس هذا الطفل فى أيديهم

راشيل : أجل . . هو فى يدك فسلّمه إلىّ إن شئت أن أطمئن .

جونبول : كلا ليس هو فى يدى .

راشيل : ففى يد من ؟

جونبول : فى يد الله . .

راشيل : أنت الله !

جونبول : لا تكفرى ويلك !

راشيل : كلاما كفرت . هذه عقيدتنا نحن اليهود : كل من يملك فى يومنا أن يضرنا أو ينفعنا فهو ربنا !

جونبول : (يبتسم) : حكمة بالغة !

راشيل : (كالمتضرعة إليه) : يا ربى يا جونبول . . سلّم لى الطفل العربى !

جونبول : ماذا تصنعين به ؟

راشيل : أذبحه وأشرب دمه !

جونبول : قد تحتاجين يوما إليه .

راشيل : أحتاج إليه ؟ لأى شىء ؟

جونبول : قد يبدو لك أن تتبنّيه .

راشيل : ماذا تقـــول ؟ أتبناه وعندى طفلى المحبوب مجد إسرائيل ومسيحه المنتظر ؟

جونبول : لا تستطيعين الاعتماد على طفل لم يولد بعد ، فقد يخرج سقطا أو يولد ميتا ، أو مسيخا ، أو مشوها ، أو . . .

راشيل : (غاضبة) : اسكت ويلك !

جونبول : لا تغضبي يا راشيل من نصحي ، واذكري يا ربيبة أمي أن عليّ ألن أتم صنيع أمي فيك !

راشيل : أنصحٌ هذا أم تشهير ؟

جونبول : (يلاطف ذقنها بيده) : ما أعذبك يا راشيل إذ تغضبين وما أحلى هذا العبوس !

راشيل : (بين العبوس والابتسام) : هل أخبرتك أن النزيف قد انقطع عني تماما ؟

جونبول : (يسحب يده من ذقنها) نعم . . نعم . . وقلت أن انتصارات العرب أثارته وانكساراتهم قطعته .

راشيل : (تتنهد) إنك لا تحبني .

جونبول : بل أعبدك .

راشيل : بالقول فقط .

جونبول : لو صح ما تقولين لما آثرت مصلحة طفلك على مصلحتي !

راشيل : أتدعي أنك ترعى مصلحة طفلي وقد تمنيت له آنفا أقبح الصفات ؟

جونبول : حاشاي أن أتمناها له ، وإنما خشيت أن يجيء على إحدى تلك الصفات !

راشيل : ولماذا تتطيّر لي ؟ وإنما يتطير المرء لعدوه لا لصديقه .

جونبول : ليس هذا من باب التطير يا راشيل ، بل من قبيل التوقع المستند إلى الدليل .

راشيل : ويلك لقد أخفتني .

جونبول : مجابهة الحقيقة خير من التهرب منها .

راشيل : فما الدليل الذي تشير إليه ؟

جونبول : أستحي أن أذكره بين يديك .

راشيل : (بصوت متراخ) إن الحياء يا سيدى لضعف فاضح . إن كنت تستحى أن تذكره بين يدىّ فاذكره بين . . .

جونبول : (مقاطعا) : أتحتملينه ؟

راشيل : يا للسؤال الغريب ! إن لم تحتمل راشيل الكبرى ، فمن التى تحتمل ؟

جونبول : إنك حملت هذا الطفل من مندوبى ثلاث وثلاثين دولة ؟

راشيل : نعم .. أو تظن هذا العدد غير كاف لتحقيق البشارة التى وردت فى الرؤيا ؟ لقد سألت عميد الحاخامين فى ذلك فأفتانى بأنه لا يشترط أن يمثلوا شعوب العالم كلها بل يكفى أن يمثلوا مختلف الأجناس البشرية المعروفة . . .

جونبول : هذا كله خارج عن موضوع حديثى ولا شأن لى به ألبتة .

راشيل : فماذا تريد أن تقول ؟

جونبول : قد بلغنى من مصادر لا يتطرق إليها الشك أن بين أولئك المندوبين الثلاثة والثلاثين كثيراً من المصابين بالأمراض الخبيثة ، بل إن بينهم من يفتخر بدائه الخبيث على رؤوس الأشهاد .

راشيل : ويلى عليه ! ذاك مندوب جواتيمالا الحلو الظريف !

جونبول : كأنك تعرفين كل هذا ؟

راشيل : بالطبع . . هل يمكن أن يخفى مثل هذا على مثلى ؟ إن كنت تخشى علىّ من ذلك فاطمئن .

جونبول : بل أخشى على الطفل !

راشيل : لقد أدركت سوء نيتك ! إنك تنـــوى ألا تعترف بشرعيته حين يولد .

جونبول : لا حق لك أن ترمينى بسوء النية وأنا صديقك الناصح المخلص .

راشيل : لا أعتبرك صديقي إلا إذا تعهدت لي بالاعتراف بشرعية ابني ساعة يرى النور !

جونبول : لا أستطيع أن أتعهد لك الآن بذلك فربما لا ترى عيناه النور أبدا

راشيل : فال إسرائيل ولا فألك !

جونبول : لا تغضبي من الصراحة ياراشيل ، فهي أنفع لك من الخداع .

راشيل : فهل تتعهد لي بذلك حين تعلم أن طفلي قد رأى النور ؟

جونبول : لا . . فقد يرى النور أياما ثم يموت !

راشيل : (غاضبة) : فاذهب عني ! أنت عدوي . . لا عدو لي غيرك !

جونبول : ما أسرع ما نسيت جميلي !

راشيل : أي جميل ياعدو إسرائيل ؟ !

جونبول : وجميل أمي التي ربّتك ؟

راشيل : لُعنت أمك العجوز القوّادة !

جونبول : ما ذنبها ؟ ليس في مستطاعها أن تجعل منك قديسة : انها ربتك على حسب استعدادك ولولا ذلك لما نبغت في فنك !

راشيل : فعلام تخلت عني في منتصف الطريق ؟

جونبول : إنما ضعفتْ من الكبر فوكلت رعايتك إليّ .

راشيل : وكلت رعايتي إلى من لا يريد أن يعترف بابني !

جونبول : لا أعترف به حتى أراه سليما قويا قادرا على الحياة والبقاء ولو لبضع سنوات .

راشيل : اغرب عن وجهي . سيعترف به العم سام والدب الأحمر وغيرهما رغم أنفك !

جونبول : اني أعلم أن هذين سيتسابقان إلى الاعتراف بابنك ولو ولد ميتا ، لا حبّاً فيك بل كيدا من أحدهما للآخر . وهـــذا لا يسوءني

ياراشيل بل يسرنى لانه سيبرهن لك فى النهاية على إخلاصى فى نصحك وخدمتك من حيث غرك هذا الجاهل الغبى وذاك الماكر الخبيث !

راشيل : لا تسبهما فهما خير منك !

جونبول : ستعلمين غـــداً أن صديقك جونبول هو الذى سيغيثك فى اللحظة الحرجة .

راشيل : تغيثنى ؟ ممن ؟

جونبول : من العرب !

راشيل : أبعد أن كسرناهم وأذللناهم وأخرجناهم من ديارهم ؟ قل إنك ستغيث العرب من بطش رجالى ! ولهذا تتلكأ بجنودك فى حيفا !

جونبول : سترين غداً أن بقاء جنودى بحيفا انما هو لنحدتك فى ساعة الشدة حين تحدق بك جيوش العرب من كل ناحية . .

(يدخل بنجوريون فيدنو من راشيل ويسارها ، ثم يقف كالمنتظر لأمرها) .

راشيل : أهذا موعده ؟

بنجوريون : نعم ياسيدتى . . . بالضبط .

جونبول : (بصوت خافض) . ترى من القادم الجديد ؟

راشيل : ليس هذا من شأنك . اخرج به يادافيد من الباب الخلفى .

(تدخل جلدا ميرسون)

جونبول : هذه صديقتى جولدا ستوصلنى . عليك يامستر بنجوريون بالضيف الجديد ! حظاً سعيدا ياراشيل . انا دائماً فى خدمتك !

(يخرج وتخرج جولدا معه)

راشيل : ناولنى تلك المرآة يادافيد !

(يناولها بنجوريون المرآة)

راشيل : (تتطلع فى المرآة لتصلح شعرها وهيئتها) : هل ترى على وجهى شيئاً من آثار الغضب يادافيد ؟

بنجوريون : كلا ياسيدتى . . إن وجهك لمشرق وضاح .

راشيل : صحيح ؟

بنجوريون : ان الدب الأحمر ياسيدتى لا يصبر طويلا على الانتظار !

راشيل : صدقت . قده إلى هنا يادافيد !

« ســـــتار »

ليلة ١٥ مايو

(١)

بهو الاستقبال فى قصر إسرائيل بتل أبيب .

بنجوريون : (يستقبل جونبول) مرحبا بك يا سيدى جونبول .

جونبول : هل وضعت مولاتك راشيل وكيف حالها ؟

بنجوريون : نعم يا سيدى قد وضعت وهى بخير .

جونبول : فى الساعة التى حددناها ؟

بنجوريون : بالضبط يا سيدى فى الساعة الرابعة بعد الظهر تماما .

جونبول : جميل !

بنجوريون : لقد كنا نخشى أن يتأخر وضعها فينتهى الانتداب قبل أن يخرج الطفل الموعود إلى عالم الوجود . ولكن إله إسرائيل لطف بنا فأظهر لنا هذه المعجزة فى آخر لحظة :

جونبول : (مبتسما) إنك إذ تنسب ذلك إلى إله إسرائيل إنما تنكر فضل مكروه من البشر قد أتقن حساب الزمن الذى تضع فيه راشيل فأصاب فى التقدير :

بنجوريون : صدقت . . لو كان من إله إسرائيل لما جاء بتلك الصورة . .

جونبول : ما تقول ؟

بنجوريون : لا شىء يا سيدى ، لاشىء .

جونبول : حسنا ... هل لك أن تستأذن لى عليها ؟

بنجوريون : الآن ؟

جونبول : نعم .

بنجوريون : لكنها الآن مشغولة .

جونبول : فإنى لن أشغلها ... سأقول لها كلمة واحدة ثم أنصرف ... سر أمامى إلى مخدعها !

بنجوريون : كلا ياسيدى .

جونبول : عندها أحد ؟

بنجوريون : نعم .

جونبول : أيكون العم سام ؟

بنجوريون : نعم ...

جونبول : خشى أن يسبقه الدب الأحمر !

بنجوريون : (ينادى) جولدا ! جولدا !

(تدخل جولدا)

جولدا : نعم يا بنجوريون ...

بنجوريون : هل لك يا جولدا أن تؤانسى السيد جونبول ريثما تنتهى مولاتك من شغلها ؟

جولدا : حبا وكرامة !

جونبول : كلا يا بنجوريون ... لا وقت عندى للانتظار ... ادخل فأسرر إليها أننى هنا .

بنجوريون : هل الأمر مستعجل إلى هذا الحد ؟

جونبول : نعم :

بنجوريون : انتظرنى لحظة (يخرج) .

جولدا : (تدنو من جونبول) أليس من الجفاء يا سيدى أن ترفض ما عرضه عليك بنجوريون ؟ هى نفساء . . أما أنا فلا !

جونبول : أشكرك يا جولدا . . إنما جئت فى مثل هذه الساعة من النهار لأمر هام جدا .

جولدا : مثل الأمر الذى جاء بالعم سام قبلك ! ما أسمج هؤلاء الرجال ! إنهم لا يتقززون أبدا من شىء !

(تدخل راشيل متحاملة على ذراع بنجوريون) .

جونبول : كان بودى أن تأمرى فأدخل إليك لا أن تتكلفى هـذه الشقة وأنت متعبة من الوضع .

راشيل : (تشير إلى الداخل) كيف والخنزير الغبي فى مخدعى ؟ (تتهالك على كرسى أمام جونبول فتقعد عليه) ادخلى إليه يا جولدا .

(تخرج جولدا) .

جونبول : ماذا يصنع فى هذه الساعة ؟

راشيل : كالعادة !

جونبول : كالعادة !

راشيل : نعم ... إنه لا يميز ...

جونبول : مخلوق قذر !

راشيل : لا تشتمنه أمامى فإنه يحبنى وقد اعترف بشرعية ابنى قبل الناس أجمعين .

جونبول : وماذا يفيدك اعترافه ؟

راشيل : تقول هذا لأنك لا تريد أن تعترف به ولو شئت لكنت أول السابقين . إنك يا جونبول أصبحت تكرهنى !

جونبول : حاشاى يا راشيل .. إنى لأحبك ولكنى لست خنزيرا غبيا فأفعل ما فعل العم سام ! العبرة يا راشيل بسلامة الطفل وقوته لا باعتراف الأغبياء به .

راشيل : فماذا صنع العقلاء لى وأنت منهم ؟

جونبول : ألم أنذرك بأن جنينك هذا سيخرج مشوّها ؟ فكيف رأيت صدق تقديرى ؟

راشيل : إنك لم تره بعد .

جونبول : لو رأيته لما ازددت به علما .

راشيل : إى والله لقد كان تقديرك شؤما علىّ ولولاه لما خرج ابنى بتلك الصورة الـ...

جونبول : ذاك شؤم المرض الخبيث ياراشيل لاشؤم تقديرى .

راشيل : فقل لى ماذا أصنع الآن ؟ إن سفراء الدول سيأتوننى غدا لتهنئتى فكيف أعرض على أنظارهم هذا المسخ ؟

جونبول : هذا ما جئتك من أجله .

راشيل : فبأى شىء جئتنى ؟

جونبول : هل تذكرين الطفل العربى القمّط ؟

راشيل : ما باله ؟

جونبول : سأحضره لك الساعة لتعرضيه على أنظارهم بحسبانه ابنك .

راشيل : فكرة مدهشة ! أتدرى ياجونبول أن هذا الطفل ..

جونبول : نعم سيؤيد خرافتك بكلامه فى المهد .

راشيل : هل كنت تقصد هذا التدبير ؟

جونبول : بالطبع يا راشيل .

راشيل : ما أبعد نظرك وأقدرك على تسيير الأمور وفق مشيئتك ! آه لو كنت تهوانى !

جونبول : إن مودتى يا راشيل لخير لك من هواى .

راشيل : لقد حيرتنى يا جونبول فى أمرك لا أدرى على التحقيق هل تضمر لى ودا أم تبطن لى عداوة ؟ ليت شعرى متى تريحنى من هذا الشك ؟

جونبول : مادام فى إمكانك أن تغدرى بى فلن أريحك من هذا الشك أبدا .

(٢)

في بهو الاستقبال . . . سفراء جواتيمالا ويوغوسلافيا وتشكوسلوفاكيا ينتظرون الإذن لهم بدخول مخدع راشيل .

جواتيمالا : (متذمرا يذرع البهو جيئة وذهابا) هذا شيء لا يطاق ! إلى متى أنتظر الإذن بالدخول ؟

يوغوسلافيا : اصبر قليلا إنا معك من المنتظرين !

تشكوسلوفاكيا: أجل . . نحن هنا سواسية .

جواتيمالا : كلا . لا يقاس بي أحد غيري . يجب على راشيل أن تعرف أن لي مكانتي !

يوغوسلافيا : إنها مشغولة بالثلاثة الكبار . . أفتريد أن تكون مثلهم ؟

جواتيمالا : أنا أكبر من هؤلاء مقاما . راشيل تعرف والدنيا كلها تعرف أنني أعظم عاهر في هذا العصر الذري !

يوغوسلافيا : ولكنك تمثل أصغر دولة في الأرض !

جواتيمالا : إنما تعظم الدول بنوابغها لا بمساحة أرضها . إني أتحدى أمم الأرض جميعا أن تنجب إحداها عاهرا مثلي !

تشكوسلوفاكيا: والدب الأحمر ؟

جواتيمالا : ماذا يصنع لها ذاك الكبير البطن ؟

تشكوسلوفاكيا: حذار أن تدع أحدا يعرف أنك قلت هذا الكلام أمامنا .

يوغوسلافيا : ويل لنا من الدب الأحمر إن عرف !

جواتيمالا : إني ماقلت إلا الحق .

تشكوسلوفاكيا: والعم سام . ماتقول فيه ؟

جواتيمالا : أيقاس بي ذاك الغبي الذي تحتقره أمته قبل غيرها من الأمم ؟

تشكوسلوفاكيا: وجونبول ؟

جواتيمالا : هذا له شأن آخر . هذا قوّاد وليس بعشيق ! هذا يهيمن على مخدعها ولا يدخله !

يوغوسلافيا : وأنت . . . أين مقامك الذى تدّعيه؟ ما أرى إلا أنها أهملتك وأهملتنا بسببك ؟

جواتيمالا : بسببى !

يوغوسلافيا : نعم . . لولا وجودك معنا لكانت قد أذنت لنا . . إنك أعلنت فضيحتها فى كل مجمع .

جواتيمالا : ويلكما . . أتعدّان ذلك فضيحة ؟ لقد قلدتها شرفا تتحدث به الأجيال إلى الأبد !

تشكوسلوفاكيا: كفى تبجحا يا جواتيمالا ! لقد صدعت رؤسنا بدعاويك الفارغة !

جواتيمالا : حسنا . . سأريكما الآن من أنا ! (ينادى بأعلى صوته) بنجوريون ! بنجوريون ! يا بنجوريون !

(يدخل بنجوريون مسرعا) .

بنجوريون : ما خطبك ؟ ما هذا الصياح ؟

جواتيمالا : أين سيدتك ؟ هل أعلمتها بأنى هنا ؟

بنجوريون : نعم يا سيدى من أول ما جئت .

جواتيمالا : فكيف تركتنى إلى الآن ؟

بنجوريون : إنها ما تزال مشغولة :

جواتيمالا : أبغيرى تشغل عنى ؟

بنجوريون : خفّض عليك يا سيدى ، ستخرج وشيكا إليك . . وإلى زميليك الكريمين .

جواتيمالا : ستخرج لى ؟

بنجوريون : نعم .

جواتيمالا : أين ؟ هنا فى البهو ؟

بنجوريون : نعم .

جواتيالا : كلا . . لا أريد . . أريد المخدع . . قدنى إلى المخدع ! (يمسك بتلابيب بنجوريون) قدنى إلى المخدع يا وغد . . وإلا .

(يدخل الدب الأحمر من الباب الموصل إلى داخل القصر) .

الدب الأحمر : مشمئزا يبصق يمينا وشمالا) حيوان قذر ! !

جواتيالا . فيم تشتمنى يا سيدى ؟ إنى لم أسىء إليك .

الدب الأحمر : (مستغربا) أشتمك ؟ من تكون يا هذا ؟

جواتيالا . أنا جواتيالا !

الدب الأحمر . (باحتقار) جواتيالا !

جواتيالا : الحائز للقب أعظم ماهر فى هذا العصر الذرى !

الدب الأحمر : (يقهقه ضاحكا) جواتيالا !

جواتيالا : ماذا يضحكك يا سيدى ؟

الدب الأحمر : هئ‍ء هئ‍ء هئ‍ء

جواتيالا : وتضحكان أنتما أيضا !

تشكوسلوفاكيا: أنت الذى أضحكتنا .

يوغوسلافيا : هل تريد أن تمنعنا من الضحك ؟

جواتيالا : (للدب الأحمر فى ذلة وانكسار) اصفح عنى يا سيدى أن أسأت إليك . .

الدب الأحمر : ماذا يقول هذا الأحمق المأفون .

جواتيالا : أنك قلت عنى حيوان قذر !

الدب الأحمر : أنت

جواتيالا : نعم

الدب الأحمر : ويلك . . ما قيمتك فأشتمك ؟

جواتيالا : فمن ذا قصدت يا سيدى بشتيمتك ؟

الدب الأحمر : حيوان آخر أقذر منك !

يوغوسلافيا : من هو يا سيدى ؟

الدب الأحمر : العم سام . . ما أقذره وما أوقحه !

يوغوسلافيا : ماذا صنع يا سيدى ؟

الدب الأحمر : يأتى المنكر أمامى ذلك الحيوان القذر

بنجوريون : (يدنو منه متملقاً) يعز علينا يا سيدى أن تلقى فى قصرنا ما يكدر خاطرك . هذه حقا قلة ذوق من العم سام . ولكنك تعرف حمقه وطيشه فأعرض عنه يا سيدى من أجل راشيل .

الدب الأحمر : فليرتكب ما شاء من حماقاته فى مغيبى . . أما فى مشهدى . .

بنجوريون : إنك واسع الحلم والمغفرة ، وقد استطاعت مولاتى راشيل أن تزيل ما بينكما من الخصومة والخلاف لمصلحة السلام العالمى : فلا تدع حمقه يتغلب على حكمتك .

الدب الأحمر : لكن هذا لا يحتمل !

بنجوريون . لا بأس أن تحتمله يا سيدى من أجل راشيل حتى لا يستغل أعداؤنا العرب ما بينكما من الخلاف فى هذا الظرف الدقيق الذى يتقرر فيه مصير إسرائيل !

(تدخل راشيل وخلفها العم سام كاللائذ بها)

راشيل : مرحباً بكم جميعاً يا ضيوفى الأعزاء (تصافح الثلاثة واحداً واحداً) أهلا بك يا جواتيمالا

جواتيمالا : نفسى فداؤك يا روحى

راشيل : رويداً يا جواتيمالا . كفكف قليلا من غلوائك !

جواتيمالا : أنا عبدك يا راشيل أقبل تراب قدميك يا راشيل

راشيل : ما أعذبك يا جواتيمالا . . أيها الداعر العتيق

جواتيمالا : (يلتفت إلى الدب الأحمر) أسمعت يا سيدى كيف شهدت لى راشيل . هذه شهادة أعتز بها مدى الحياة

(الدب الأحمر ينظر شزراً إلى العم سام دون أن ينبس بكلمة)

العم سام : افخروا ما شئتم بشهاداتها القولية . . أما الشهادة الفعلية فلى فيها القدح المعلى

جواتيمالا : القولية يا سيدى تعلن على الناس . . أما الفعلية فلا يراها أحد . .

العم سام : لقد رآها اليوم رجل كبير المقام جدا .

الدب الأحمر: أيها الحيوان القذر ، أما كفاك سوء ما صنعت حتى تتبجح به ؟

العم سام : (يضحك ضحكة المنتصر) تندم هذا العمل لأنك أردت أن تسبقنى إليه فسبقتك .

الدب الأحمر: (يبصق يمينا وشمالا) قذارة تثير الاشمئزاز فى النفس .

العم سام : إن أثار هذا الأمر الاشمئزاز فى نفس المحروم فقد أتاح اللذة للمحظوظ السعيد .

الدب الأحمر: صدقت . . . إن أسعد الخنازير لهى تلك التى تتمرغ فى أقذر الحظائر .

(يدخل جونبول فجأة)

جونبول : لقد سمعت طرفا من تلاحيكما . وليس يعنينى ما يقوله أحدكما للآخر ، ولكن يجب أن تراعيا شعور راشيل .

الدب الأحمر : ماذا تعنى يا سيد جونبول ؟

جونبول : قد نعذرك فى قولك أسعد الخنازير . . أما أقذر الحظائر فهذه كبيرة منك . .

الدب الأحمر : أيها الدساس المحترف إنى ما قصدت المساس براشيل فيما قلت فلا تحاول الوقيعة بيننا .

العم سام : يتهمنى الدب الأحمر بجهل آداب السلوك وهو الذى يجهل آداب السلوك مع سيدة محترمة .

راشيل : إنى أعفيكم من مراعاة آداب السلوك معى . . . على ألا تتلاحوا

بسبى فإنى بحاجة إلى كل واحد منكم . . إن العم سام قد اعترف بشرعية ابنى فهلا تصنعون مثله ؟

جواتيمالا : أنا أقدم اعترافى على شرط أن يكون لى نصيب فيما استأثر به العم سام فليس أحد خيرا من أحد !

راشيل : لك عندى يا جواتيمالا ما تحب من ذلك .

جواتيمالا : إذن فسأسجل اعترافى بماء عينى ومخ ساقى !

راشيل : بوركت يا جواتيمالا إنك لسباق إلى المكرمات !
(لتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا)وأنتما يا صديقى العزيزين ؟

يوغوسلافيا : لا يحق لنا أن نتقدم فى ذلك على عميدنا الجليل .

راشيل : (للدب الأحمر) ماذا ترى يا عزيزى ؟

الدب الأحمر : هل تشككين فى تلبيتى لهذا الطلب منك وطالما دعوت الناس إلى تأييدك ؟

راشيل : أتعترف ؟

الدب الأحمر : بلا قيد ولا شرط .

راشيل : ما أبرّك بى وما أكرمك .

الدب الأحمر : لا تطرينى يا أخت ماركس ولينين فإنما أقضى بعض دينهما علىّ .

يوغوسلافيا : وأنا أعترف بلا قيد ولا شرط .

تشكوسلوفاكيا : وأنا كذلك .

راشيل : وأنت يا جونبول ؟

جونبول : لا أستطيع ذلك الآن .

راشيل : دعوه الآن فسيعترف بابنى فى حينه .

الدب الأحمر : اسمعى يا راشيل . . . إنى خذلت العرب فى سبيلك ، وصارحتهم العداوة ، وأعرضت عن مصالح لى كثيرة عندهم . فلا وحق ماركس لا أدع أحداً يغشى المعسكرين معاً ويحاول أن يفيد من هذا

وذاك على حسابنا جميعاً ؛ فعلى جونبول أن يحدد اتجاهه . فإما إليك يا راشيل وإما إلى عدوك ؟

العم سام : إن الدب الأحمر لعلى حق فيما يقول : إننى لأهنئه على صراحته !

الدب الأحمر : يسرنى ثناؤك هذا . بيــد أن من حق راشيل عليك — وقد أشبعت جونبول من جوع وأغنيته من فقر — أن تهدده بقطع المعونة إن لم يكف عن إرسال الأسلحة إلى العرب .

راشيل : كلا هذا كثير على جونبول . . . ثقوا أنه سيعترف بابنى فى الحين الملائم .

جونبول : إن الاعتراف الذى لا قيمة له هو ما لا يبالى صاحبه أصح ذلك الاعتراف أم بطل . أنا صديقك يا راشيل ، وأنت ربيبة أمى فلا أستطيع أن أغشك !

الدب الأحمر : صديق!

جونبول : نعم . . إن صديقك من صدقك لا من صدّقك .

الدب الأحمر : لايخدعك هذا ياراشيل فهو إنما يؤجل اعترافه حتى يتمكن العرب من إعلان دولتهم فى فلسطين فيسارع هو إلى الاعتراف بها !

جونبول : هذا صحيح ! .

راشيل : ماذا تقول !.

العم سام : حذار ياجونبول . . لئن فعلت ذلك لأقطعن معونتى فلا يصل إليك دولار واحد .

جواتيالا : لقد صرح جونبول الساعة بعداوته لحبيبتنا راشيل ، فعلينا جميعاً أن نعاديه ونقاطعه .

جونبول : أيها السادة لو فهمتم قصدى ما تهجمتم هذا التهجم على ؟

الدب الأحمر : إن قصدك واضح ! .

جونبول : واضح لمن يفهمه ! .

الدب الأحمر : إنه يرمينا بالبلادة وقلة الفهم .

العم سام : إنى أحتج على ذلك .

جونبول : إن الأمر أبسط من أن يجرنا إلى هذه المشادة .. وها كم البيان . إن العرب لن يعلنوا قيام دولتهم فى فلسطين حتى تكون لهم السيطرة التامة على فلسطين كلها .

الدب الأحمر : وحينئذ تعترف أنت بدولتهم ؟ .

جونبول : بالطبع .. لأنها ستكون حينذاك دولة قائمة بالفعل ،سواء اعترفت بها أو لم أعترف .

بنجوريون : لن نمكن العرب من ذلك أبدا .. لنمضين فى قتالهم حتى نبيدهم جميعا !

جونبول : بحسبي أن تقهروا العرب وتحولوا بينهم وبين خنق هذا الطفل الوليد لأعترف لكم بقيام دولته كما تريدون .

بنجوريون : لاحاجة بنا حينئذ إلى اعترافك .

جونبول : ذلك ما أعناه لكم أن تكونوا فى غنى بقوة وجودكم عن اعترافى واعتراف غيرى .

الدب الأحمر : إياك أن تصدقيه ياراشيل فإنما قال هذا ليبرر تقصيره فى حقك وليحملنا على سحب اعترافنا .

جونبول : كلا ليس فى وسعى أيها السادة أن أحمل أحداً منكم على سحب اعترافه ، ولكن الأيام هى التى سترغمكم جميعاً على ذلك .

الدب الأحمر : انظروا إلى هذا الكاهن الجديد الذى يدعى معرفة ما فى بطون الأيام .

جونبول : كلا إنى لا أدعى الكهانة ، ولكن نُذُر اليوم تفصح عن وقائع الغد . إنى أنصحكم أن تسحبوا اعترافكم قبل أن تذروه رياح الزمن فتكونوا أضحوكة الأجيال !

راشيل : حسبك ياجونبول . . إن كلامك هذا ليملأ قلبي رعبا ! .

الدب الأحمر : إنه يريد تخويفك ياراشيل وتخذيلنا عن نصرتك ،وهو يدّعى مع هذا أنه صديقك . وأعجب من ذلك أنك تميلين إلى تصديقه !

راشيل : كيف لا أصدقه وقد سلم إليّ الطفل القمّط ..

جونبول : (ينظر إليها نظرة زاجرة) راشيل ! هذا سر لا ينبغى أن تفشيه ! .

الدب الأحمر : الطفل المقمط !

العم سام : ما الطفل المقمط يا راشيل .

جونبول : أما وقد أفشته لكم فاعلموا أنها تعنى حيفا . . . قد اصطلحنا على تسميتها بالطفل المقمط . . إياكم أن يعلم العرب بهذا فيتخذوه حجة لهم عليّ وعلى راشيل

راشيل : (تتنفس الصعداء) أجل . . كيف لا أصدقه وقد خدع العرب عن حيفا وسلمها لرجالى ؟

الدب الأحمر : يسلمها لك ويبقى هو مرابطا بجنوده فيها ! ياله من تسليم عجيب !

جونبول : ستعلمون غداً أن هذا لمصلحة راشيل

الدب الأحمر : (يستشيط غضباً) هذا شيء لا يطاق ! انظروا ما يقول هذا الرجل ! احتلال بلاد راشيل لمصلحة راشيل . . عدم الاعتراف بسيادة راشيل لمصلحة راشيل . . ما بقى على جونبول إلا أن يقول : ذبح راشيل لمصلحة راشيل ! أوه . . أ كاد أجن !.

جونبول : (بهدوء) هدىء من أعصابك قليلا يا هذا لعلى أستطيع أن أقنعك بأن اعترافكم هذا هو الذى سيقضى على راشيل وعلى ابن راشيل ، فإن كنتم تحبونها حقاً فاسحبوا هذا الاعتراف ودعوا هيئة الأمم المتحدة تواصل مساعيها للتوفيق بين الفريقين .

الدب الأحمر : مساع غير مجدية .

جونبول : من الخير أن تكون كذلك . . . من مصلحة راشيل أن تطول المفاوضات والمناقشات حتى تؤجل الدول العربية تنفيذ قراراتها العسكرية من حين إلى حين ريثما يصير قرار التقسيم حقيقة واقعة فيصعب على العرب بعد ذلك إنكارها .

الدب الأحمر : من شاء منكم أن ينخدع بكلام هذا المنافق فليفعل . أما أنا فسأوعز إلى سفرائي في مختلف بلاد العالم أن يعلنوا اعترافي بدولة إسرائيل . سأسبقكم جميعاً إلى هذا الشرف .

العم سام : هذا شرف لا يسبقني إليه غيري .

بنجوريون : (ينظر في ساعته) : ويلكم .. الساعة الآن الحادية عشرة . لقد شغلتموني بجدالكم هذا عن إعداد الكلمة التي سأذيعها الليلة على العالم . . سأسبقكم إلى قاعة الاحتفال (يخرج بنجوريون) .

راشيل : دعوني ألبس حلاي وحليتي (تنهض) .

الدب الأحمر : ازدانى بها على رغم جونبول !

(٣)

في قاعة الاحتفال حيث احتشد كبراء القوم . وقد بدت راشيل جالسة على أريكتها يحف بها العم سام والدب الأحمر وجوانيالا والسفراء الآخرون . ويرى بنجوريون واقفاً أمام الميكروفون ليلقي كلمته :

جونبول : (ينهض من مجلسه) أيها السادة هل لي أن أنصحكم النصح الأخير؟

الدب الأحمر : كلا .. لن نسحب الاعتراف .. اهتفوا معي: يسقط جونبول ! .

الجميع : (يهتفون) يسقط جونبول !

جونبول : ليس هذا ما أريد أن أنصحكم به .

الدب الأحمر : ماذا تريد ؟

جونبول : أن تطفئوا هذه المصابيح الوهاجة فإني لا آمن أن تطرقكم الآن غارة عربية من الجو !

الدب الأحمر : إن جونبول يريد أن يكدر صفو حفلتكم فاطردوه !

بنجوريون : سكوتا أيها السادة ! الساعة الآن الثانية عشرة تماما ... بعد دقيقة واحدة سأزف إلى العالم بشرى ميلاد مسيحنا الموعود وأعلن قيام دولة إسرائيل .. توجهوا بأبصاركم جميعا إلى وجه أمنا الكبرى راشيل الخالدة .

صوت : (يهتف) أرونا وجه الطفل الموعود ! نريد رؤية المسيح الموعود

الجميع : (يرددون) أرونا وجه المسيح الموعود ، نريد روية الطفل الموعود !

بنجوريون : هو الآن نائم فى مهده يباركه إله إسرائيل . وغدا ترونه جميعا فى الحفل الأكبر .

(تطفأ المصابيح فجأة)

راشيل : (تصيح) لا تطفئوا المصابيح الآن .. لم يحن وقت إطفائها بعد . أطفئوها فى آخر الحفلة .

(تسمع صفارات الإنذار وأزيز الطائرات)

راشيل : (تصيح) ياويلنا .. ما هذه ؟

جونبول : هذه الطائرات المصرية .. قد أنذرتكم بها من قبل !

بنجوريون : آلو ! آلو ! هنا تل أبيب .. أنا دافيد بنجوريون أعلن للعالم قيام دولة إسرائيل ..

(تسمع أصوات انفجار القنابل)

بنجوريون : أدركونا يا محبى اليهود ! أغيثوا دولة إسرائيل .. هذه غارات العرب وهذه أصوات قنابلهم ! .. دولة إسرائيل فى خطر !

جونبول : اقطع إذاعتك يا بنجوريون وإلا استهدفنا للخطر !

راشيل : (يسمع صوتها فى الظلام) أين أنت ياعم سام ؟ ضمنى إليك ... إنى خائفة !

العم سام : أين أنت يا راشيل ؟

راشيل : أنا هنا فى مكانى ..

العم سام : هلمى إلىّ .. ضمينى إليك ..

راشيل : هأنذى .. ضمنى إليك .. إنى خائفة ..

العم سام : أين أنت يا راشيل ؟

راشيل : ألست العم سام ؟

الدب الأحمر : أما تعرفين ضمتى ياراشيل ؟ أنا الدب الأحمر !

« ســـــتار »

معجزة إسرائيل

القاعة الكبرى فى قصر إسرائيل بتل أبيب . للقاعة بابان أحدهما (على اليمين) يؤدى إلى خارج القصر والآخر(على اليسار)يؤدي إلى داخله . ترى فى صدر القاعة أريكة راشيل . وقد جلس حول الأريكة جونبول والعم سام والدب الأحمر : ووقف بنجوريون يخدمهم ويلاطفهم .

الدب الأحمر : آمنوا به إن شئتم . أما أنا فلست خرافيا مثلكم !

بنجوريون : لقد شهدت المعجزة بعينك .

الدب الأحمر : نعم ولكنى لا أومن بخرافة طفلكم الموعود .

بنجوريون : فكيف تفسر كلامه فى المهد ؟

الدب الأحمر : سيكشف الفحص العلمى الدقيق سر ذلك عما قريب .

العم سام : إنما تنكر المعجزة حسداً لى لأنى كنت أول من اعترف بهذا الطفل فأنا أولى به منك .

الدب الأحمر : كلا بل أنا به أولى لأن اعترافى به واقعى لا خرافى .

العم سام : ماذا ترى يا جونبول ؟

جونبول : لا تدخلونى فى هذا الخلاف، فإنى لا أصدّق المعجزة ولا أكذّبها حتى تثبت الأيام صدقها أو كذبها .

(يدخل جواتيمالا من الباب الأيسر)

جواتيمالا : يا للعجب ! إنه للمسيحّ المنتظر حقا : لقد سمعته يتكلم فى مهده ... سمعته بأذنى هاتين ! .

الدب الأحمر : (ينهض من مجلسه) أريد أن أسمعه مرة أخرى لأتأكد من أمره

العم سام : (محتجا) لقد دخلت إلى مخدع راشيل ثلاث مرات اليوم . .

الدب الأحمر : عجباً ... ما شأنك أنت ؟ .

بنجوريون : دعه يا سيدى فلعل إله إسرائيل أن يهديه هذه المرة فيؤمن !
(يخرج الدب الأحمر) .

جونبول : (للعم سام) هذه حيلة منه للتردد على مخدع راشيل حتى يجتذب قلبها إليه ويستأثر بودها من دونك :

العم سام : يابنجوريون إنى أنذرك ... حذار أن يفسد الدب الأحمر قلبها علىّ

بنجوريون : لا تخف يا سيدى فأنت لراشيل الحبيب المفضّل ، وأنت لمسيحنا الحوارىّ الأول !

جواتيمالا : بل أنا الحبيب المفضل وأنا الحوارى الأول لا العم سام ولا الدب الأحمر .

جونبول : ياجواتيمالا أنصحك أن تلزم حدك ولا تتطاول على السادة الكبار !

جواتيمالا : أما زلت تعتبر نفسك من الكبار بعد ما تحديتك فى هندوراس ؟

جونبول : (يتضاحك) ولكن طرادتين صغيرتين كانتا كفيلتين باسكاتك !

جواتيمالا : سترى غداً كيف أؤلب العالم عليك !

جونبول : اخسأ !

بنجوريون : لا تختصموا أيها السادة . فأنتم فى أرض السلام وفى حمى المسيح المنتظر

الدب الأحمر : (يدخل) هذا الطفل أمره عجيب حقا بيد أن أمه أعجب وأمتع !

بنجوريون : لعلك يا سيدى آمنت الآن بالمعجزة !

الدب الأحمر : كلا . لا أستطيع أن أؤمن بالخرافات .

بنجوريون : ألا تظهر الإيمان يا سيدى ولو من أجل راشيل ؟

الدب الأحمر : ماذا يهم راشيل من إيمانى أو عدمه ؟

بنجوريون : أما ترى الجيوش العربية قد أصبحت تهدد عاصمتنا نفسها ؟

فستسحب الدول الصديقة اعترافها بدولة إسرائيل إن لم تنقذنه هذه المعجزة !

الدب الأحمر : هؤلاء المذبذبون قد يسحبون اعترافهم ، أما أنا وحاشيتي فلن نسحب اعترافنا أبدا ولو احتل العرب هذا القصر !

العم سام : وأنا لا أسحب اعترافي ولو وقعت راشيل نفسها في أيدي العرب !

جواتيمالا : أنا أشد من ذلك ولاء . . لن أسحب اعترافي ولو نفّذ العرب تهديدهم فألقوها وقومها جميعا في عرض البحر ! !

بنجوريون : (ترجف شفتاه) يا للداهية ! ماذا يبقى إذن من دولة إسرائيل ؟

جواتيمالا : سأعترف بها حينئذ دولة بحرية !

جونبول : عجبا لكم يا قوم تدّعون حب راشيل ثم تتطيّرون لها هذا التطير الفاحش . آه لو سمعتكم راشيل !

بنجوريون : ليحلنّ عليكم غضبها إذن .

العم سام : كلا لا تخبرها يا بنجوريون . . لا طاقة لي بغضب راشيل !

جواتيمالا : هي تعلم جيدا أننا لا نريد لها إلا الخير .

جونبول : أفهذا الذي تمنيتموه لها من الخير ؟

الدب الأحمر : ويلك يا جونبول ما أشد مكرك ! لقد أردت بهذا أن تظهر لراشيل أنك أشد حبا منا وإخلاصا .

جونبول : كلا ما خطر هذا ببالي قط .. وإنما عز عليّ أن تؤمنوا بمعجزة إسرائيل ثم تشكّوا هذا الشك الكبير في بقاء دولته !

العم سام : صدقت يا جونبول ، لا ريب أن إله إسرائيل الذي أظهر هذه المعجزة سيحمي دولته .

الدب الأحمر : أيها الرجعيون أما تقلعون عن الإيمان بهذه الوساوس والأوهام ؟

(يدخل موسيه شرتوك ومعه قسيس مهيب الطلعة) .

شرتوك : هذا مندوب الفاتيكان قد جاء لتشريف قصر إسرائيل .

(ينهض الجميع احتراما له ما عدا الدب الأحمر) .

بنجوريون : ألم يجيء أصدقاؤنا الآخرون بعد ؟

شرتوك : أخشى أن تكون الجيوش المحيطة بنا قد حالت دون وصول هؤلاء (يخرج) .

بنجوريون : مرحبا بمندوب قداسة البابا . إنه لتعطف عظيم من قداسته أن يبعث إلينا مندوبه الخاص .. تفضل يا مونسنيور.. تفضل . .

المندوب : (يجلس) إن قداسة البابا لم يوفدنى من الفاتيكان إلا لأطمئن له على سلامة المقدسات المسيحية .

بنجوريون : أجل . . قد أصبحت اليوم فى خطر بعد سقوط مدينة القدس القديمة فى أيدى المتوحشين العرب !

المندوب : كلا بل قد اطمأننت عليها اليوم . لقد أصبحت فى أيد أمينة . وقد أبرقت إلى قداسته بما شهدت .

الدب الأحمر : إن كنت تتحيز للعرب إلى هذا الحد فماذا جاء بك إلى قصر إسرائيل ؟ .

المندوب : جئت يا هذا لأشهد معجزة إسرائيل المزعومة لأرى هذا المسيح الكاذب الذى تبشرون به .

الدب الأحمر : أخشى إن رأيته أن تؤمن به لأنك رجعىّ مثل هؤلاء .

جواتيالا : لكنه يا مونسنيور مسيح صادق . . لا ريب أن هذا الطفل الذى ولدته راشيل هو المسيح المنتظر .

العم سام : المعجزة التى وعد بها إله إسرائيل !

المندوب : ياويلتنا . . لقد كفرتم بالسيد المسيح إذن

جواتيالا : أتريدنا أن نكذّب أسماعنا وأبصارنا ؟ لقد شهدنا الطفل الوليد يتكلم فى مهده ؟

المندوب : ويلكم . . هذه خدعة إبليس . . هذه فتنة اليهود أعداء المسيح

الدب الأحمر : هوّن عليك يا مونسنيور ، فلن يفلح هذا المسيح الجديد . إن

العالم كله يوشك أن ينبذ هذه الأفكار الرجعية كلها . وإنى أنصحكم يا رجال الدين أن تبحثوا من اليوم عن عمل آخر ترتزقون منه !

المندوب : اسكت أيها الملحد الكافر ، إن الدين سيبقى ما بقى الإنسان إنساناً ولن يكفر به إلا من صار حيواناً مثلك

الدب الأحمر : عجباً لك ، أتغضب منى أن هدمت لك هذا المسيح الجديد ؟ إذن فلتؤمن به مثل هؤلاء

المندوب : أمثلك يعلّمنى دينى يا كافر ؟

بنجوريون : اعذر الدب الأحمر يا مونسنيور فإنه ملحد لادين له ، ولكنى أقترح على سيدى أن يدخل معى إلى مخدع راشيل ليرى بعينه المعجزة .

المندوب : ويك ياقوّاد .. أتدعو مثلى إلى مخدع مولاتك الفاجرة ؟

بنجوريون : لاتغضب ياسيدى فإن حاخاميتا يدخلون عندها ويتبركون بها .. إنها قديسة !

المندوب : هذا دأبكم ... تجعلون فواجركم قديسات ... ومازلتم تحتفلون بعيد استير إلى اليوم .

جونبول : لا حق لكم يا قوم أن تثيروا غضب المونسنيور ، فعلى كل امرىء أن يرعى حرمة رجال الدين مهما كان مذهبه

المندوب : أنت يا جونبول تقول هذا وأنت سبب هذه الفتنة المستطيرة !

جونبول : أنا يامونسنيور ؟

المندوب : نعم . أنت الذى جلبت أعداء المسيح من الآفاق ليدنّسوا هذه الأرض المقدسة .

جونبول : لقد وجدتهم مضطهدين يامونسنيور فرحمتهم برحمة المسيح الذى

يأمرنا بالعطف حتى على الأعداء ! يشهد الله ما قصدت بذلك إلا طاعة السيد المسيح .

المندوب : فهل من طاعة المسيح أن تقيم فى الأرض المقدسة ماخورا لراشيل تمارس فيه البغاء علانية لتجعل من ثمرة بغائها مسيحاً كاذبا تفتن به الناس عن إيمانهم بمسيحنا ولتبنى الهياكل على أنقاض مقدساتنا ؟ .

جونبول : كلا ليس فى نيتها أن تهدم المقدسات المسيحية .

المندوب : أليس فى نيتها أن تبنى هيكل سليمان ؟

جونبول : بلى ولكن على أنقاض المسجد الأقصى .

بنجوريون : ولن نمس المقدسات المسيحية بسوء .

المندوب : ويلكم . هل تبقى كنيسة القيامة والقبر المقدس وغيرهما إذا ذهب المسجد الأقصى ؟ .

الدب الأحمر : ياليتها جميعاً تمحى من الوجود ! هذه حصون الرجعية ، طوبى لمن يهدمها ويخلص البشر من شرورها وأوهامها .

جونبول : ألا تكف عن المجاهرة بإلحادك هذا أمام رجل الدين الصالح ؟

العم سام : هذا قلة ذوق .

جواتيمالا : يجب أن تراعى شعوره على الأقل .

المندوب : أنا لا ألوم الدب الأحمر على مساعدته لهؤلاء اليهود إذ تجمعه بهم عداوة المسيح وحب الكيد لدينه . . ولكن ما عذركم أنتم يامدعى الإيمان بالسيد المسيح ؟

جونبول : إننا نشكرك يامونسنيور على وعظك وإرشادك . حبذا لو تنصرف من هنا حتى لا تسمع أو ترى مايكدر خاطرك . هل لك يابنجوريون أن تأذن للمونسنيور بالانصراف ؟

بنجوريون : لامانع عندى إذا أحب .

المندوب : كلا . . لا أنصرف من هنا حتى أرى هذه المعجزة الوهمية وأظهر لكم زورها وبطلانها .

(تدخل راشيل متشحة بثوب سابغ فتحيي مندوب الفاتيكان تحية خاصة ثم تجلس على أريكتها)

جواتيالا : (يدنو منها ويجذب ثوبها) ماهذا التحشم ياراشيل ؟ دعينا نستمتع !

راشيل : (تنهره) ويلك يا داعر . . ألا تحترم الناس ؟

الدب الأحمر : أنا على مذهب جواتيالا !

العم سام : وقاحة !

الدب الأحمر : نفاق !

راشيل : انظر إلى هذين يا مونسنيور . . أدعوهما إلى السلام ويأبيان إلا الخصام . لعلك يا سيدى أن تساعدنى فى إصلاح ذات بينهما من أجل سلام العالم .

المندوب : إن سلام العالم لا يبحث أمره فى ماخور .

راشيل : (تضحك ضحكة فاجرة) إن كنت يا سيدى جئت لوطر آخر فعلى الرحب والسعة !

المندوب : (غاضباً) ويلك يا فاجرة الأبد . إنما جئت لتفنيد المسيح المنتظر الذى زعموا انك ولدته !

راشيل : لقد ولدته حقا . أفتريد أن أدعو لك القابلة التى ولدتنى لتشهد لك أنه خرج من ...

المندوب : قطع الله لسانك ! ما أشك أنك ولدته من سفاح .

راشيل : هل كنت تطلب منى ياسيدى أن آتيك لتعقد لى على ثلاثة وثلاثين من مندوبى الدول واحداً بعد واحد فى ليلة واحدة ؟ هل كان فى وسعنا أن نفعل ذلك ؟

المندوب : يا للشناعة !

جونبول : اشرحي له الفكرة كلها يا راشيل حتى يدرك مغزاها !

الدب الأحمر : كلا يا راشيل ، لست مطالبة بتقديم حساب لهذا القس !

العم سام : اسكت انت . . دعها تشرح له المغزى العظيم

جواتيمالا : لعله يؤيدها ضد المتوحشين العرب

راشيل : يامونسنيور إن إله اسرائيل اقتضت حكمته أن ألد مسيحنا المنتظر من عصبة من الرجال يمثلون جميع الأجناس ، ليكون مشاعا بين البشر فتستجيب الشعوب كلها لدعوته العظيمة لإقرار السلام في الأرض على أساس الالتفاف حول دولة اسرائيل دولة الدول .

العم سام : ما عدا شعباً واحداً هو الشعب العربي البغيض .

جواتيمالا : فيجب إبادته لوقوفه في وجه اسرائيل

راشيل : حتى هؤلاء العرب دعوناهم في أول الأمر إلى الإشتراك في هذا الخير فاستكبروا وأبوا ثم أقبلوا من جميع أقطارهم يحاربون دعوتنا ويتحدّون إله اسرائيل . ولعلك الآن يا سيدي تقدر الرسالة العظيمة التي أديتها ولا تعدها سفاحا كما قلت

المندوب : بل هذا سفاح وزور وإجرام وكفر ! هذه فتنة المسيح الكاذب التي أنذرنا بها رهباننا الأولون ... طوبى للعرب إن تم لهم إنقاذ العالم من هذه الفتنة !

العم سام : لكن هذا ليس هو المسيح الكاذب الذي أشرتُ إليه ...

جواتيمالا : هذا معجزة إسرائيل ... هذا طفل يتكلم في المهد !

المندوب : اسكتا أيها المحرومان !

الدب الأحمر : لا تخافا فلن يحرمكما هذا القس إلا من خير لا وجود له !

جونبول : ألا تأمرين باحضار الطفل ياراشيل لعل أبانا يرى رأيه فيه .

راشيل : لقد كذّب به قبل أن يراه .

جونبول : لا بأس أن تريه إياه فقد جاء لرؤيته

الدب الأحمر : لن أومن به أبداً ولو آمن به هذا القس !

راشيل : أحضر الطفل الموعود يا بنجوريون .

بنجوريون : سمعا يا مولاتى (يخرج) .

جونبول : (لمندوب الفاتيكان) هل عيّن رهباننا الأولون زمن ظهور المسيح الكاذب ؟

المندوب : إنهم أنذروا بمسيحين كذبة كثيرين كلهم من اليهود ، وقد ظهر بعضهم فيما مضى وبقى آخرون ، وهذا أحدهم لا محالة ، وأمله كبيرهم

جونبول : إذن فليس ثمّ دليل قاطع على أن هذا منهم

المندوب : أتريد أن تتنصل من تبعة التمهيد لظهوره ؟ كلا إن التبعة لاصقة بظهرك إلى يوم القيامة .

الدب الأحمر : (لجونبول) إن كنت ياهذا خائفاً منها فألصقها بظهرى أنا إلى ذلك اليوم الذى لاوجود له ! (يقهقه) أودعها للعم سام وألقها على عنقه الغليظ !

العم سام : بل فى بطنك أنت لتزيد بها حبلا على حبل !

الدب الأحمر : خنزير جبان بليد !

العم سام : دب خبيث وقح !

راشيل : لاتختصما فها قد جاء رسول السلام !

(تدخل جولدا ميرسون تحمل الطفل وقد كسى ثوبا عليه شارة إسرائيل والطفل يضطرب كأنما يحاول التملص من يدها) .

جوانيالا : (يهتف) سلاما على المسيح المنتظر ! (يدنو منه ليقبله) هذا ابنى من صلبى ! لاشك عندى فى ذلك .

الطفل : (يلطمه لطمة قوية) لا أقام الله صلبك ! إليك عنى ياداعر !

جواتيالا : (يتقهقر عنه) أسمعته يامونسنيور كيف نطق ؟ إنه لطمني تدليلا لى لأنى أبوه الحقيق !

المندوب : (يرسم علامة الصليب) .. ؟

العم سام : بل أنا أبوه الحقيق ، أنا أول من اعترف به قبل الإنس والجن ! (يدنو منه ليقبله) .

الطفل : (يفقأ بإبهامه إحدى عينيه) لاتلمسنى أيها الخنزير القذر !

العم سام : (يصيح صيحة منكرة) آه !.. لقد فقأ عينى ..

جونبول : لعله أراد تدليلك !

العم سام : كلا .. ماهكذا يكون التدليل .. هذا ولد عاق ! أوّاه لقد ذهبت عينى اليمنى !

جونبول : احمد الله إذ ترك لك العين اليسرى !

راشيل : لابأس عليك ياعم سام .. أسعفه يابنجوريون ..اربط له عينه !.

بنجوريون : سمعا يامولاتى ، هلم معى ياعم سام (يخرجان) .

المندوب : (بصوت خافض وهو يرسم علامة الصليب) لقد صدق الرهبان الأولون .. إنه يضر مناصريه !.

جونبول : (للدب الأحمر) ألا تدنو أنت لتقبّله لعله أن يكون ابنك !

الدب الأحمر : هو ابنى من صلبى ، ولكنى لا أومن به ولن أومن به أبدا .

جونبول : لاتؤمن به ولكن قبّله !

الدب الأحمر : كلا !

جونبول : أتخاف من هذا الطفل ؟

الدب الأحمر : بل أخشى إن ضربنى أن أضربه فتغضب منى راشيل ؟.

راشيل : (يلمع فى وجهها الحقد) كلا لن أغضب ولو قتلته !

جونبول : (ينظر إلى راشيل نظرة زاجرة) راشيل ! إن الأطفال لايقتلون !

جواتيالا : إلا أطفال العرب فقد قتلهم الهجاناه وحقّ لهم ذلك .

راشيل : ويلكم .. هل ترضى أمٌّ بقتل طفلها ؟ إنما قلت ذلك لأن الطفل الموعود لا يستطيع قتله أحد .

الدب الأحمر : لو شئت لقتلته بضربة واحدة فأبطلت لكم هذه المعجزة !

جواتيالا : ألم تؤمن به بعد ؟

الدب الأحمر : كلا !

جواتيالا : فكيف تفسّر كلامه فى المهد ؟

الدب الأحمر : ربما رُكّب فيه جهاز فنوغرافى سرّى من صنع أحد العلماء الألمان الذين استولى عليهم جونبول !

جواتيالا : (يقهقه قهقهة ضخمة) لقد ظننتك على شىء من العقل فاذا أنت مثل..

الدب الأحمر : مثل من يالُكع ؟

جواتيالا : مثل الخنزير الأعور !

(يعود بنجوريون ومعه العام سام معصوب العين فيجلسان)

جواتيالا : (للمندوب) ان الطفل ينظر إليك يا أبانا !

المندوب : أدنوه منى

راشيل : (مضطربة) كلا يا سيدى ، أخشى أن تمتد يده إليك بسوء

الدب الأحمر : دعيه يجرّب حظه . .

المندوب : (يرسم علامة الصليب) لا بأس علىّ منه (يبسط يده إلى الطفل) باسم الله وباسم الروح القدس (يضعه فى حجره)

العم سام : عجباً !

جواتيالا : لقد آمن أبونا بالمسيح المنتظر ! لقد آمن بابى وابن راشيل !

الطفل : (بصوت هادىء رزين) أيها الأب الصالح إنى لست ابن هذه اليهودية العاهرة . .

راشيل : (تصيح) احمليه ياجولدا . . أبعده من هنا يا بنجوريون !

المندوب : دعينا ويلك نسمعه !

الطفل : ولست مسيح اليهود الكاذب ، ولست طفلاً صغيراً يتكلم فى المهد ..

جواتيمالا : لقد بدأ الطفل يخرف ..

الدب الأحمر : اسكت ويلك .. دعه يتم حديثه .. لقد أوشك سر المعجزة أن ينكشف !

الطفل : أجل .. ليس فى الأمر معجزة .. أنا رجل عربى

جواتيمالا : رجل !

العم سام : عربى ! لهذا فقأ عينى .. هذا المتوحش !

الدب الأحمر : اسكتوا جميعاً !

الطفل : ولدت منذ ثلاثين سنة من أب عربى مسلم وأم عربية مسيحية فاختطفنى ..

جونبول : (مقاطعاً) أتصدقون مثل هذا المحال ؟ أين ذهبت عقولكم ؟

الدب الأحمر : اسكت ويلك

الطفل : فاختطفنى جونبول هذا بعد ما قتل أبوى ثم قمطنى فمنع جسمى من النمو فبقيت كما ترون .. وجاء بهذه العاهرة ففتح لها الماخور فى هذه الأرض المقدسة أرض آبائى وأجدادى (يجهش باكيا)

المندوب : تبارك الله وتقدس اسم السيد المسيح !

راشيل : (تصيح) لا تصدقوه !

المندوب : إن صدّقناه فأنت كاذبة وإن كذّبناه فأنت كاذبة !

راشيل : كلا فان من علامات مسيحنا المنتظر أن ينكر أباه وأمه .. سلوا الحاخام أبا هيل سلفر يخبركم .. سلوا حاخامى اليهود جميعاً يؤكدوا لكم صدق ما أقول .. إنه المسيح المنتظر ، وهو ابنى ، وأنا أمه ، ولدته عشية الجمعة ١٤ مايو .. هذه جولدا ميرسون تشهد لكم أنه خرج من ...

جولدا : أجل أقسم بإله اسرائيل انه خرج من .. سأريكم من أين خرج هذا المولود .. (تدنو من راشيل)

جونبول : ويلك ماذا تريدين أن تصنعى يا جولدا ؟

جولدا : سأريكم من أين خرج هذا الطفل . .

المندوب : ياللخزى والسوء !

جونبول : (يحول دون ذلك) كلا لا تفعلى يا مجنونة !

راشيل : إن شئتم أن تتأكدوا فلا بأس . .

المندوب : (يرفع بصره إلى السماء) يا إلهى احبس عنا عذاب سدوم !

الطفل : إن شئتم أن تروا الطفل الذى ولدته هذه العاهرة لتجعله ملك اسرائيل فاقصدوا الحجرة التى خلف مخدعها تجدوه !

العم سام : أجل . . طالما سمعت أنينه من المخدع . . ويح ابنى تتركه أمه لتتبنى هذا العربى المتوحش ! سآتيكم بابنى الحقيقى لتروه (يخرج منطلقا)

الدب الأحمر : بل هو ابنى أنا لا ينازعنى فيه أحد (يعدو خلفه ويخرج)

جواتيمالا : بل أنا أبوه . . هو من صلبى !

راشيل : (تصيح) ياجونبول أغثنى ياجونبول . . تدارك الأمر !

جونبول : (يأخذ بتلابيب جواتيمالا فيجذبه بشدة فيرمى به على الأرض) ابق هنا يا نذل !

راشيل : أدرك الآخرين !

جونبول : لا أقدر ياراشيل . قد انطلقا كالمجانين .

جواتيمالا : (يمسح الدم عن رأسه من أثر السقطة ويبكى) أسدٌ علىّ وأمام الآخرين نعامة .

جونبول : كيلا تتحدانى فى هندوراس مرة أخرى !

بنجوريون : (لجواتيمالا) هلم معى لأعصب لك رأسك .

جواتيمالا : (ينتحب انتحابا متقطعاً) كلا . . سأرى ابنى أولا . . لا أدع أحداً يأخذ ابنى منى ! إنه ابنى ياراشيل . أنت تعرفين ذلك ! !

(يدخل العم سام ضاما إلى صدره مضغة من اللحم الأحمر الضارب للسواد ، وخلفه الدب الأحمر يحاول سدى أن ينتزعها من قبضته)

جواتيمالا : هذا ابنى . ارفقا به . لاتقتلاه بهذا الضغط .

(يسمع صياح المسخ كأنه قباع الخِنَّوص)

راشيل : (تصيح) ياولداه !

بنجوريون : رفقا به ياهذان . أماترحمان بكاءه ؟ هذا مجداسرائيل .حذار من غضب إله اسرائيل . !

الدب الأحمر : (بصوت أجش) أنا أبوه . إن لم يتركه لى هذا الخنزير البليد فليمت ملك اسرائيل فى يده ولا أبالى ! أنا لا أومن بإله اسرائيل ولا غيره !

راشيل : واولداه ! واجد اسرائيلاه ! (يكاد يغشى عليها فتسندها جولدا وتضمها) .

جواتيمالا : اتركاه لى . إنه ابنى . كلا . ليس هذا بابنى ..ويلاه ! ماهذا ؟ هذا مسخ مخيف الصورة !

الدب الأحمر : (يكف عن مجاذبة العم سام) ياللهول !

جونبول : (للمندوب) ألا تعجب لهؤلاء يامونسنيور . يتنازعون عليه قبل أن يروا حقيقته !

العم سام : (يرفع فمه عن فم المسخ) ماذا تقولون ؟

جواتيمالا : انظروا . هذا الدود يتساقط من فمه !

العم سام : من فم من ؟

الدب الأحمر : من فمك أنت يا قذر !

العم سام : (يتأمل فيما يحمله) ويلتا . فمه مملوء دوداً !

(يلقيه على الأرض فتظهر بشاعته للجميع)

الدب الأحمر : لاتلقه . إنه ابنك . إنه نطفتك . هنيئاً لك به !

العم سام : (يتهوع ويقىء ويمسح فمه بكمى سترته) كلا . بل هو ابنك أنت . هو أحمر العينين مثلك !

الدب الأحمر : بل هو يشبهك ! هذه ملامحه البليدة مثل ملامحك .

جواتيالا : ياللفظاعة . إنه يشبهكما معا !

الدب الأحمر : (يأخذ بتلابيبه) بل هو ابنك أنت يالكع ! هذا من أثر الزهري الذي عندك !

العم سام : أجل هذا أبوه الحقيق . هذا صاحب الزهري المزمن !

الدب الأحمر : (آخذا بتلابيب جواتيالا) ساعدني ياعم سام . ارفع ابنه إليه ليقبّله .

جواتيالا : (يصيح) كلا ! كلا ! .

العم سام : (يرفع المسخ فيلصق فمه بفم جواتيالا) ذق من هذا الدود اللذيذ

بنجوريون : ويلكما انكما ستقتلان مجد اسرائيل (يجذب المسخ من يد العم سام ويضعه في حجر راشيل)

راشيل : (تفيق من غيبوبتها) ياولداه ! ياقرة عيناه !

جواتيالا : (يتهوع ويقيء) لعنة الله على بلادى ! لو كانت دولة كبيرة لما استأسد هؤلاء عليّ !

الدب الأحمر : لاتتهوع . هذا الدود من نتاج الزهري الذي عندك

جواتيالا : لست مصابا به وحدى . أنتما مصابان به مثلى ! ! كشفا عن سوءتيكما إن كنتما منكرين . . وراشيل أيضا مصابة . . ! كشفوا عنها .

جونبول : اسكت يانذل . . إن الله يحب الستر (يلتفت إلى المندوب) أليس كذلك يا أبانا ؟

المندوب : لاتلوّث اسم الله ياجونبول !

جونبول : ما ذنبي أنا يامنسنيور ؟

المندوب : إن الله لمثير هذه الفتنة لبالمرصاد !ه

جونبول : لقد نفضت يدى منها وتبت إلى الله .

المندوب : أبعد أن دنّست الأرض المقدسة ؟ هيهات !

الدب الأحمر : ويلكم . ما جئنا لسماع المواعظ الرجعية ! لسنا هنا فى المسجد الأقصى ولا فى كنيسة القيامة .. هذا قصر اسرائيل فى تل أبيب !

المندوب : (ينهض واقفاً وهو يضم الطفل العربى إلى صدره (أجل . . . هذه أخت سدوم ، وإنى لأخشى أن أشهد فيها عذاب سدوم !

بنجوريون : (غاضباً) اخرج من هنا ! اخرج من قصر اسرائيل !

المندوب : هأنذا خارج . .

بنجوريون : هات هذا الذى معك !

الطفل : (يتشبث بالمندوب) : كلا أيها الأب الصالح لا تسلمنى لهذا اليهودى . . إنه سيقتلنى .

الدب الأحمر : سلّمه لى !

العم سام : أنا أولى به . . عندى بترول قومه

الطفل : كلا لا تسلّمنى إلى هؤلاء الكفرة الفجرة .

جونبول : لا تسلمه لأحد من هؤلاء يامنسنيور . . سأتولاه أنا وأعنى به . أنا وليه باعترافه هو !

الطفل : كلا . إياك أن تسلمنى لهذا الخائن المنافق ! سلّمنى لأحد أعمامى . أتوسل إليك .

المندوب : اطمئن يابنى . . . لن أسلمك إلا لأحد أعمامك .

جونبول : دعنى أسلمه لأحد أعمامه فانى صديقهم !

المندوب : كلا !

جونبول : إنى ياسيدى أحترم قداسة البابا ، ولكن يجب أن تعطى ما لله لله وما لقيصر لقيصر !

المندوب : فهذا لله ياجونبول !

العم سام : دعه لجونبول يامنسنيور فهو أحق به .

الدب الأحمر : كلا . . إما أن تتركاه لهذا القس وإلا فأنا أولى به !

بنجوريون : ماذا تنتظر ياهذا القس ؟ اخرج من قصر اسرائيل !

المندوب : هأنذا خارج . . . انى أشم رائحة العذاب !

بنجوريون : (يلهث من الحقد) لن ينزل العذاب إلا على أعداء اسرائيل ! على مكة وروما ! نحن شعب الله المختار . . سيحمينا إله اسرائيل ويهلككم أجمعين !

(يسمع أزيز الطائرات ثم دوى القنابل)

راشيل : (تفيق من غيبوبتها) ما هذا يا جولدا ؟ احملونى إلى المخبأ ... احملوا مجد اسرائيل !

(يحملان راشيل وابنها المسيخ ويخرجان بهما)

العم سام : خذونى إلى المخبأ معكم ! (يخرج)

جواتمالا : خذونى أنا أيضا ! (ينطلق)

المندوب : لطفك يا إلهى . باسم المسيح احمنا من عذاب سدوم

الطفل : باسم المسيح ومحمد !

المندوب : أجل ... باسم محمد والمسيح احمنا اللهم من العذاب !

الدب الأحمر : (لجونبول) أتصلى أنت أيضا يا منافق ؟

جونبول : (بصوت خافت) دعنى ... لست كافراً مثلك ؟

(يتوالى دوى القنابل الثقيلة)

المندوب . باسم محمد والمسيح احمنا اللهم من عذاب سدوم !

الدب الأحمر : أى عذاب يا هذا ؟ إنما هذه قنابل العرب !

المندوب : صلّ لله معنا ... إن قنابل العرب لهى صواعق الرب !

« ستـــار »

بين أطلال ألبانيا

(١)

في منزل الرفيق تروفسكي القوميسار الروسي بتيرانا عاصمة ألبانيا ..
(تروفسكي وزوجته نفتاليا).

نفتاليا : (عابسة) لكأني بأوامر موسكو تصدر بنقلك !.

تروفسكي : لينقلوني حيثما شاءوا فإني لا أبالي .

نفتاليا : كأنك لا تقدر ما أنت فيه من النعمة هنا في ألبانيا .

تروفسكي : أما يزال كابوس الشظف الماضي يزعجك يانفتاليا ؟ إن كنت خائفة على حياة البذخ هذه فاعلمي أنها ستتبعنا أينما كنا من البلاد الدائرة في فلكنا الأحمر !

نفتاليا : وإذا نقلوك إلى سيبيريا ؟

تروفسكي : سيبيريا ! كلا لن يحدث شيء مما تخشين .

نفتاليا : هل نسيت أنك كنت من المشكوك في ولائهم للمارشال ستالين وأنهم نقلوك إلى هنا ليختبروك ويبلوا نشاطك في خدمة الكومنترن ؟

تروفسكي : إن نشاطي في ذلك فوق الشبهات . .

نفتاليا : أي نشاط يا رجل ؟ لك الآن ستة شهور في ألبانيا ولم تصطد في خلالها من أعداء الشيوعية إلا عدداً لا يذكر . .

تروفسكي : أنسيت حمزة زاده الذي أرسلته إلى المشنقة أول من أمس ؟

نفتاليا : ذاك الشيخ الهرم الذي وجدت عنده عشرة جنيهات ذهبا ؟

تروفسكي : نعم .

نفتاليا : أعظم به من صيد يليق بمقامك العظيم ! انظر إلى أنور خوجه كيف يصطاد المئات في الأسبوع !

تروفسكى : مالى ولأنور خوجه ؟ هذا انتهازى ألبانى محتاج لدوام ثقة الكرملين به ، فهو يسعى دائما ليضاعف تلك الثقة بالقبض على أكبر عدد من مواطنيه !

نفتاليا : أنت أحوج إلى ثقة الكرملين منه . أنت مهدد فى كل لحظة بالنقل

تروفسكى : دعهم ينقلونى فقد كرهت هذه البلاد .

نفتاليا : أين تجد أجمل من ألبانيا ؟

تروفسكى : هى عندى أقبح من وجه الشيطان .

نفتاليا : لا أدرى ماذا كرهت فيها وقد كنت تحبها من قبل ؟

تروفسكى : فقد سئمتها الآن .

نفتاليا : لكنى لا أزال أحبها . وما أحسبنى أسأمها أبدا .

تروفسكى : وإذا نقلونى ؟

نفتاليا : فسأسعى للبقاء هنا وحدى عقابا لك على تفريطك فى تدعيم مركزك ! (تبتسم) .

تروفسكى : أإلى هذا الحد تعشقين هذه البلاد ؟

نفتاليا : إنها جميلة يا تروفسكى . كل شىء فيها جميل (تدنو منه فتعانقه) أتوسل إليك يا رفيقى العزيز أن تحبها من أجلى وتعمل على تدعيم مركزك .

تروفسكى : أنا لا أستطيع أن أجارى أنور خوجه فى عدد صيوده على كل حال . ذاك عمل مرهق .

نفتاليا : الكيفية أهم من الكمية .

تروفسكى : ماذا تعنين ؟

نفتاليا : اعمد إلى أحد كبار رجال الدولة فاجعله صيدك .

تروفسكى : أنور خوجه مثلا ؟

نفتاليا : كلا . . هذا البهلوان الكبير يصعب إسقاطه من على الحبل فى الوقت الحاضر . . ولكن عليك بسيف الله ماليشوفه .

تروفسكى : ذاك أكبر مقاما من أنور خوجه .

نفتاليا : أجل ، ولكن نشاطه الأحمر قد قل فى العهد الأخير .

تروفسكى : ليس من السهل اصطياد هذا السياسى العبقرى .

نفتاليا : استعن عليه بأنور خوجه .

تروفسكى : ما أحسب أنور يرضى أن يوقع بصاحب الفضل الأكبر عليه .

نفتاليا : أذكر أنى حدثتك بقصة السترة التى سرقها أنور من زميله حين كانا فى بلجيكا .

تروفسكى : (يضحك) نعم نعم . . إنها قصة مضحكة .

نفتاليا : فاذكرها لأنور وقل له إن الذى رواها لك قد سمعها من ماليشوفه ، وبذلك توغر صدره عليه .

تروفسكى : أواثقة أنت من صحة إسنادها إلى سيف الله ماليشوفه ؟

نفتاليا : نعم . .

تروفسكى : من الذى حكاها لك ؟

نفتاليا : جاسوسى الخاص .

تروفسكى : من هو ؟

نفتاليا : (ترتبك قليلا ثم تصنع الابتسام) هذا سر من أسرار الدولة يا عزيزى لا أستطيع أن أكشفه لأحد .

تروفسكى : (يتمعر وجهه) من أسرار الدولة . !

نفتاليا : اعذرنى يا رفيقى العزيز فإنه جاسوس نادر المثال ، إن كشفته فلن أعثر لى على جاسوس خاص مثله أبداً

(٢)

فى منزل أنور خوجه

أنور : إنى أشكر لك هذه الزيارة الكريمة على كل حال . .

تروفسكى : ماذا يفيدنى شكرك وقد رفضت اقتراحى ؟

أنور : والله لو طلبت أى شخص آخر لأجبتك . . أما سيف الله ماليشوفه الذى لولاه لما توطدت قواعد النظام الأحمر فى هذه البلاد فكثير علينا جداً أن نصطاده .

تروفسكى : (يتحرك فى مقعده) يبدو أن أحدنا إذا استاء أو غضب يزداد شعوره بالحر ، فهل تأذن لى أن أخلع هذه السترة عنى ؟ .

أنور : (ينهض) تفضل يا سيدى القوميسار ... دعنى أساعدك .

(يساعده فى خلع سترته)

تروفسكى : أشكرك ... دعها هنا معى .

أنور : سأعلقها لك على المشجب (يعلقها) .

تروفسكى : (يندفع مقهقها) هىء هىء هىء هىء .

أنور : (يقبل عليه) ماذا يضحكك يا سيدى القوميسار ؟ .

تروفسكى : هىء هىء هىء هىء ...

أنور : ألا يعجبك هذا المشجب ؟ أتظنه مطليا بالدهان الأسود ؟ كلا ياسيدى القوميسار ... هذا مصنوع من الآبنوس الفاخر العالى الثمن ! .

تروفسكى : هىء هىء هىء هىء . . ليس المشجب هو الذى أضحكنى .

أنور : كل شىء هنا ثمين . هذه البُسُط وهذه الكراسى وهذه الثريات . . إنى مغرم بكل متاع جيد

تروفسكى : معذرة أيها الرفيق فقد ذكّرنى خلع السترة قصة مضحكة سمعتها هنا فى بلادكم .

أنور : أى قصة ؟

تروفسكى : قصة موظف ألبانى كان يقيم مع زميل له خارج ألبانيا فسرق سترة زميله وهرب بها إلى بلاده !

أنور : (يتغير وجهه ولكنه يتكلف الابتسام) من حدثك بهذه القصة ؟

تروفسكى : شاب ألبانى ؟

أنور : من هو ؟

تروفسكى : ماذا تريد أن تصنع به ؟

أنور : سأريه كيف أؤدبه !

تروفسكى : على أن روى هذه القصة ؟ .

أنور : نعم ، لقد مس هذا النذل كرامة الشعب الألبانى بأسره !

تروفسكى : لا ذنب له ، إنه سمعها من أكبر رجالكم مقاما ، من سيف الله ماليشوفه . ألم تسمع بهذا الحادث قط ؟

أنور : (مرتبكا) لا ، أين وقع ذلك ؟

تروفسكى : أظنه قال لى : فى المفوضية الألبانية ببلجيكا حيث كان السارق والمسروق منه يشتغلان كاتبين هناك ... وأظنه قال لى أيضا إنك تعرف ذلك الكاتب وإنك قتلته بتهمة عدم إخلاصه للنظام الأحمر !

أنور : ها . . لقد تذكرته الآن !

تروفسكى : وكانت التهمة غير صحيحة ولكنك اختلقتها عليه لتتخلص منه !

أنور : نعم فعلت به ذلك انتقاما منه لأنه ارتكب هذا العار الذى تأباه النفس الألبانية والتقاليد الألبانية !

تروفسكى : لكن راوى القصة أخبرنى أنك قتلت المسروق منه لا السارق !

أنور : أجل . . قد قتلت المسروق منه أيضا بعد ذلك إذ تبين لى أنه من أعداء النظام الحاضر

تروفسكى : اسمع ياصديقى . . اننى عمدت معك إلى أسلوب المداورة خشية أن

أجرح شعورك . بيد أن الصداقة تقتضيني الآن أن أصارحك بأن ماليشوفة يزعم أنك الـ . .

أنور : (يحمر وجهه وتنتفخ أوداجه) كذاب ! إنه ألصقها بي ليسيء إلى سمعتي . . حذار أن تصدق مثل هذا البهتان . .

تروفسكي : هوّن عليك يارفيق ، فهي قصة مضحكة على كل حال

أنور : إن الناس هنا مغرمون بتلفيق الحكايات ، فإذا صدّقت هذه القصة فعليك أن تصدّق أخرى لا تقلّ عن هذه بعدا عن الحقيقة

تروفسكي : ماهي ؟ أطرفني بها . .

أنور : ربما لايسرك سماعها

تروفسكي : (يبدو عليه الاهتمام) مضحكة كهذه ؟

أنور : كلا . . بل هي مبكية !

تروفسكي : مبكية !

أنور : إنهم يتحدثون عن علاقة غرامية بين شاب ألباني وزوجة موظف روسي كبير !

تروفسكي : (يربد وجهه) هل تعرف ذلك الشاب ؟

أنور : نعم أعرفه إنه شاب جميل الصورة

تروفسكي : من هو ؟

أنور : ماذا تريد أن تصنع ؟

تروفسكي : سأؤدبه لتطاوله وجرأته !

أنور : يقولون إنها هي التي أكرهته فلا ذنب له . . هوّن عليك ياسيدي القوميسار فما أكثر ما يقول الناس !

تروفسكي : (ينظر إليه مغضبا) دعني من هذه المداورة . . لقد فهمت أنك تقصدني (يأخذ بتلابيبه) ورأس ستالين لئن لم تدلني على ذلك الشاب لألحقن السارق بالمسروق منه !

أنور : معما ياسيدى القوميسار . أرسل عنق . سأدلك عليه

تروفسكى : (يرسل عنقه) من هو ؟

أنور : إيلى كاباش ، قريب الأب كليانس وخطيب أخته

تروفسكى : (يزفر زفرة الحقد) ها . قد عرفته !

أنور : إن أردت سيف الله ما ليشوفه الآن فإنى مستعد لاصطياده

تروفسكى : لعلك تطمع أن تنسب هـذا العمل إليك فى التقرير المرفوع إلى موسكو ؟

أنور : بالطبع ياسيدى القوميسار

تروفسكى : كلا . سيكون ماليشوفه صيدى أنا فى التقرير

أنور : لكن ...

تروفسكى . سأترك لك فضل اصطياد ايلى كاباش إن شئت ...

أنور : حسنا ياسيدى .. اتفقنا .

(٣)

حجرة الاستقبال فى منزل أنور خوجه

(يدخل أنور ومعه سيف الله ماليشوفه)

ماليشوفه : (يرتمى على أحد المقاعد) قصر بديع يا أنور وذوق جميل !

أنور : إنك ياسيدى لما تشاهد كل حجرات القصر ... هلم معى لأريك الجناح الثانى .

ماليشوفه : (متضايقا) حسبى ما رأيت يا بنى .

أنور : لا تتحرج يا سيدى فليس فى القصر اليوم أحد .

ماليشوفه : أعفنى يا بنى فإنى اليوم متعب . هلم فاجلس وقل لى ما الأمر الهام الذى دعوتنى من أجله ؟

أنور : (يجلس قريباً منه) أتعاهدنى يا سيدى أنك لا تنقل حديثى إلى أحد ؟

ماليشوفه : إن كنت تخشى على نفسك منى خير لك أن تكتم حديثك .

أنور : كلا ولكن ليطمئن قلبى .

ماليشوفه : فليطمئن قلبك .

أنور : بشرف ألبانيا ؟

ماليشوفه : (يتنهد) بشرف ألبانيا ... إن ...

أنور : أجل ... إن بقى لها شرف !

ماليشوفه : حذار يا أنور أن تزل قدمك !

أنور : علام الخوف ؟ لقد زلت أقدامنا جميعاً فوقعنا إلى الحضيض ..
إن هؤلاء الحُمر قد صيرونا فى بلادنا عبيداً لهم !

ماليشوفه : أهذا هو رأيك ؟

أنور : ألست ترى هذا معى ؟ لا يوجد ألبانى واحد يشك فى هذه الحقيقة .

ماليشوفه : ولكنهم لا يقولون ما تقول ... فحذار يا أنور

أنور : مم أحذر بعد ؟ لقد أصبح هلاكى اليوم محققاً

ماليشوفه : ماذا تقول ؟

أنور : استدعانى القوميسار أمس وأبلغنى أمراً ورد إليه من موسكو بسفرى
إليها فى خلال يومين ، إنهم سيقتلوننى هناك لا محالة

ماليشوفه ، هل نقموا منك شيئاً ؟

أنور ، لا أدرى ... وهل يدرى أحد متى يغضب هؤلاء الحمر ومتى يرضون ؟
لكنى أستأهل كل ما يصيبنى ، لقد مالأتهم على بلادى وأمتى ...
(يجهش بالبكاء) لقد خدعت ! لقد خدعت !

ماليشوفه ، لا تبتئس يا أنور فلست وحدك المخدوع

أنور ، لكنى المجرم الأول ! أعتبر نفسى المجرم الأول !

ماليشوفه ، (تغرورق عيناه بالدموع) بل أنا المجرم الأول ... أنا المسئول
الأول ... أنا الذى خدعت قومى ودعوتهم بخطبى ومقالاتى إلى تأييد

الحمر . وصوّرت لهم أن النظام الشيوعى سيجعل ألبانيا جنة فى الأرض فهاهو ذا قد قلبها جحيما ، هاهم أولاء الحمر قد ظهروا على حقيقتهم وانكشف ما يبيّتوه لهذا الشعب . إنهم يعملون على إبادته بطرق دقيقة محكمة ليُحلوا محله العنصر السلافى . إنهم يريدون ألبانيا خالية من الألبانيين ! ومهما يخلص لهم الألبانى ويتفان فى خدمتهم فلن ينسيهم ذلك أنه من العنصر الذى يجب استئصاله إن لم يكن غداً فبعد غد ...

(يتلفت يمنة ويسرة) حذار يا أنور ... إن الحيطان لها آذان ...

(يدخل تروفسكى فجأة)

تروفسكى : مرحى يا ماليشوفه !

ماليشوفه : (يلتفت إلى أنور خوجه) ويلك من سافل دنىء !

أنور : خائن كبير !

ماليشوفه : صدقت !

تروفسكى : إن سيبيريا تنتظرك يا سيفَ الله ماليشوفه !

ماليشوفه : (يعود إلى تماسكه) بل تنتظركما أنتما ... لا تحسبانى سهل الاصطياد بهذه الدرجة . سأكتب تقريراً إلى موسكو بخيانتكما وغدركما بالمخلصين للاتحاد الأحمر

أنور : هيهات يا ماليشوفه هيهات !

ماليشوفه : سأشكوكما إلى الماريشال ستالين وسأبيّن له ائتماركما بى فلا تحسباه يصدّقكما ويكذّبنى !

تروفسكى : سنبعث بك إلى موسكو وبالاسطوانة معك ، وللماريشال ستالين أن يصدقها أو يصدقك !

أنور : هل تحب أن تسمع الاسطوانة التى سجّلنا عليها كلماتك العذبة ؟

ماليشوفه : عندى وثائق تثبت على كل منكما الارتشاء والاتجار فى السوق السوداء . لأطلعن الماريشال ستالين عليها إن لم تكفا عنى !

تروفسكي : قد أمرنا رجالنا بالاستيلاء على جميع أوراقك . فإن تكن تلك الوثائق بينها فهي في قبضتنا الآن !

أنور : لن تجديك حيلتك ولا عقريتك شيئا ، ولا مناص لك من الاستسلام المطلق

ماليشوفه : أيها الوغد الآثم سيأتي قريباً دورك !

أنور : يضحك إذن فانتظرني في سيبيريا حتى آتيك !

ماليشوفه : لكي تسرق سترتي أيها اللص القديم ؟

أنور : إن تركوا على جلدك سترة هناك أيها الخائن العظيم !

تروفسكي : اطمئن يا ماليشوفه فلن يعرف الشعب شيئا عن خياناتك . سنشيع في أنحاء البلاد أن الماريشال ستالين قد تعطف عليك فأعفاك من أعباء وظيفتك وأعطاك إجازة تقضيها في موسكو .

ماليشوفه : بل دعوا الشعب يعلم خيانتي لكم . . . لعله يغفر لي خيانتي له ولوطنه . . دعوه يتعظ بمصيري أنا الزعيم المخدوع !

(٤)

في منزل القوميسار تروفسكي

نفتاليا : (تتلقى زوجها عند الباب) أين غبت طول اليوم والليلة ؟ هل كنت في رحلة ؟ لماذا لم تخبرني ؟

تروفسكي : ما غبت يا حبيبتي إلا في سبيلك .

نفتاليا : ماذا تعني ؟

تروفسكي : لقد آليت على نفسي ألا أعود إلى المنزل إلا بعد تنفيذ رغبتك .

نفتاليا : اصطدت ماليشوفه ؟

تروفسكي : تماما كما اقترحت .

نفتاليا : (تعانقه) خذ مني قبلة . . جزاء هذا النشاط العظيم !

تروفسكي : هاتي قبلة أخرى فقد ظفرت أيضاً بصيد آخر !

نفتاليا : عظيم ! (تقبله) ترى من هو ؟
تروفسكي : شاب خطر يدعى ايلي كاباش !
نفتاليا : (مرتاعة) من ؟
تروفسكي : إيلي كاباش
نفتاليا : (متجلدة) ماذا صنع هذا الشاب ؟
تروفسكي : ضبطنا في جيبه أوراقا معادية .
نفتاليا : (ثائرة) كلا . . لابد أنك وضعتها في جيبه كيدا له !
تروفسكي : عجباً ، أتعرفينه ؟
نفتاليا : نعم هذا شاب مخلص للحُمر !
تروفسكي : قد يكون مخلصا لخدودك الحُمر أولشفاهك الحُمر ، بيدأنه مع الأسف الشديد خائن لنظام الحكم الأحمر فاستوجب الإعدام !
نفتاليا : تباً لك من غيور جبان ! لأحتجن لدى موسكو على هذا الظلم الصارخ ! لأشهدن عليك بأنك اغتلت هذا المخلص الأمين انتقاماً لنفسك من أجل غيرتك العمياء !
تروفسكي : حذار أن تفعلي هذا فتمسك تهمة الاشتراك معه في الخيانة لأنه عشيقك !
نفتاليا : نذل جبان !
تروفسكي : هاتي يا حبيبتي قبلة ثالثة !
نفتاليا : اخسأ يا نذل .. إليك عني !
تروفسكي : لقد ظفرت بصيد ثلث . . أفلا تكافئين نشاطي ؟
نفتاليا : لايهمني بعد الآن نشاطك أو خمولك .
تروفسكي : هذا صيد يهمك أمره . . لقد خلّصتك من غريمك .
نفتاليا : من دا تعني ؟
تروفسكي : خطيبة المرحوم ايلي كاباش . . أخت الأب كليماس .
نفتاليا : أقتلتها أيضاً ؟

تروفسكي : ويلك . . كيف أقتل مرجريت ؟ هي التي قتلتني ! إني لأعجب كيف كان ابلي كاباش اللأفون يتودد إليك وعنده مثل هذه الوردة اليانعة ؟

نفتاليا : هنيئاً لك هذا التلاعب بسلطتك الرسمية واستعمالها في خصوصياتك القذرة . . لأرفعن تقريراً بذلك إلى موسكو !

تروفسكي : كلا يا عزيزتي ليس هذا من خصوصياتي القذرة كما تزعمين . . ستكافئني موسكو على هذا العمل فقد خلصتها من رجعي كبير . . خلصتها من ذلك القس الكاثوليكي الصعب المراس .

نفتاليا : كذبت . . لا تجرؤ أنت على قتله وإلا ثارت عليك تيرانا كلها .

تروفسكي : قتلته بسلاح لا يستطيع شعب تيرانا أن يراه . أمرت رجالا فاصطادوا لي مرجريت في مكان منّا ثم دعونا أخاها القس فرأى بعيني رأسه ثوب أخته العذراء . فما اطلع عليه حتى قضى نحبه كمدا .

نفتاليا : إجرام ونذالة !

تروفسكي : بل عبقرية أصابت عصفورين بحجر واحد ، فقد أرحت موسكو من ذلك الرجعي الكبير دون إحداث ضجة في البلد ، واصطفيت لنفسي جاسوسة خاصة رائعة الجمال . . .

نفتالنا : « متجلدة » وماذا أيضا ؟

تروفسكي : (بلهجة التشفي) اطمئني الآن يا رفيقتي العزيزة فقد وطدت مركزي . . سنبقى هنا في ألبانيا . . إنها جميلة . . كل شيء فيها جميل !

نفتاليا : (في قسوة وجمود) ولا سيما شبابها ! حسنا يا رفيق العزيز سأصطفي لنفسي منهم جاسوسا آخر !

تروفسكي : (متجلدا) افعلي يا رفيقتي العزيزة ما تشائين . . ستحدين عبقريتي للقيصر (كاباش الثاني) بالمرصاد !

« ستار »

حفلة التكريم الكبرى

(١)

في حجرة بمستشفى بورتسموث . يظهر الستر بيفن مسجى على السرير وعلى رأسه عصابة . وعنده الطبيب الذى ضمد له جرح رأسه وهو يغسل يديه عقب عملية التضميد . وقد وقفت ممرضة بين يديه لتناوله المنشفة .

الطبيب : إنه نائم الآن فابقى معه فى الحجرة ، ولا تبرحيها حتى يصحو من تلقاء نفسه .

الممرضة : حتما يا سيدى الدكتور (تناوله المنشفة)

الطبيب : لا تأذنى لأحد بالدخول عليه فهو بحاجة إلى الراحة التامة (يتحرك المستر بيفن فى سريره)

الممرضة : انظر يا سيدى . . إنه يتحرك .

الطبيب : (بصوت خافت) : بدأ يفيق من غشيته .

بيفن : (يفتح عينيه) : أين أنا الآن ؟

الطبيب : (يقبل عليه) فى المستشفى يا سيدى ، ولا بأس عليك :

بيفن : (يضع يده على العصابة التى على رأسه) : وما هذا الذى برأسى ؟

الطبيب : طهرنا لك الجرح وعصبناه .

بيفن : جرح !

الطبيب : جرح بسيط جدا لا خوف عليك منه .

بيفن : ويلكم . . متى حدث لى هذا ؟

الطبيب : ألا تتذكر ياسيدى ؟ إنك وقعت من على كرسيك فحملت إلى هنا .

يفن : نعم تذكرت الساعة .. لعنة الله على بلاكويل ! أين ذهب هذا الشقى ؟

الطبيب : هو فى قاعة الانتظار أسفل .

يفن : ائتونى به .

الطبيب : من الخير أن تدعه الآن يا سيدى و تلزم الراحة .

يفن : (بصرامة) : لا تعارض أمرى !

الطبيب : ادعى الدكتور بلاكويل يا إيلين .

الممرضة : سمعا (تخرج)

يفن : اسقونى شيئا فإنى عطشان .

الطبيب : (يملأ له قدحا من قنينة شراب) : تفضل يا سيدى .

يفن : (يحاول الجلوس ليشرب) : آه . . كل هذا من بلاكويل !

الطبيب : ابق يا سيدى كما أنت . . . سأسقيك إياه .

يفن : كلا لا أشرب إلا جالسا . أتظننى لا أقوى على الجلوس ؟
ماذا تظننى ؟ فى دور النزع ؟

الطبيب : حسنا يا سيدى دعنى أساعدك .

يفن : (ينحى يد الطبيب) بل سأجلس وحدى . (يجلس فيشرب القدح عبلا) شكراً .

الطبيب : هل أزيدك يا سيدى ؟

يفن : حسى هذا (يمد الطبيب يده ليأخذ القدح منه) دعه معى !

الطبيب : سأعيده إلى مكانه .

يفن : بل دعه معى . . سترى الآن ماذا أصنع به .

(يدخل بلاكويل مترفقا فى مشيته وخلفه الممرضة)

بلاكويل: لا بأس عليك يا سيد . .

يفن : لعنة الله عليك ! (يقذف بالقدح على بلاكويل فيصيب كتفه ويتحطم القدح على الأرض)

بلا كويل: (يقف مرتجفاً) معذرة يا سيدى . . إنى شديد الأسف لما حصل

بيفن : أجلستنى يا مأفون على حافة الكرسى حتى وقعت على ظهرى

بلا كويل: ما حيلتى يا سيدى ! كان لابد من التمرين على الجلسة التى ستجلسها أمام الوفد العراقى ، ولم نجد فى الدار كرسيا عاليا يصلح لهذا الغرض . والحمد لله قد نجحت التجربة ولم تصب إلا بجرح بسيط .

(تجمع الممرضة حطام القدح فتخرج به من الحجرة)

بيفن : لولا ثقتى بإخلاصك لحسبتها مؤامرة ضدى أوعز بها إليك نورى السعيد رغبة فى إضعافى حين أقف أمامه عند المفاوضة .

بلا كويل: (يهدأ جأشه قليلا) : حاشاى يا سيدى . : محال أن أتواطأ عليك مع (ذى ميزرابل جيسى) حتى ولو ولانى رئاسة الوزارة فى بلاده !

بيفن : (يقهقه ضاحكا) ما أطرفك يا دكتور بلا كويل !

بلا كويل: شكرا يا سيدى . . هذا من لطفك .

بيفن : دى ميزرابل جسى . . هىء هىء هىء . . .

الطبيب : لا تضحك هكذا يا سيدى . . .

بيفن : ما تقول ؟ أتريدنى أن أبكى ؟ أتريدنى أن أتمرن هنا على البكاء أمام الوفد العراقى ؟

بلا كويل: (يقهقه) : هذه يا سيدى أظرف من نكتتى وأبدع !

الطبيب : إنما أخشى يا سيدى أن يضرك الضحك .

بيفن : وهل البكاء ينفعنى أيها الطبيب البارع ؟

بلا كويل: هذه نكتة أخرى لا بأس بها !

الطبيب : إن أى حركة يا سيدى قد تضرك فأنت بحاجة إلى الهدوء التام .

بيفن : تريد أن تمنعنى من الحركة ؟ أمتواطىء أنت أيضا مع دى ميزارابل جيسى ؟

الطبيب : مَنْ ذى ميزرابل جبسى هذا ؟ إنى لا أفهم يا سيدى شيئا مما تقول .

يفن : أما تعلم أنى سأفاوض الوفد العراقى الليلة ؟ أم تريدنى أن أدعوهم ليفاوضونى عندك هنا فى المستشفى ؟

بلاكويل : وهذه أبرع وأظرف !

الطبيب : (يحاول ضبط أعصابه): لكن يا سيدى لا ينبغى أن تقوم الليلة بأى مجهود شاق .

يفن : ويلك . . إن لم أقم الليلة بالمجهود الشاق فمتى ؟ ألا تعلم أننى سأبنى الليلة أساس الصرح الشامخ ؟

الطبيب : الصرح الشامخ .

يفن : قل له يا دكتور بلاكويل ما الصرح الشامخ .

بلاكويل : صرح الدفاع المشترك بين بلادنا ودول الشرق الأقصى !

يفن : الشرق الأوسط ، ويلك !

بلاكويل : الأوسط أم الأقصى ؟ . نعم نعم . . الأوسط . . اعذرنى يا سيدى إن أخطأت فليست الجغرافيا من اختصاصى . . . كنت أكرهها جدا فى المدرسة .

الطبيب : ألا يمكن تأجيل موعد الاجتماع يا سيدى ولو إلى مساء الغد ؟

يفن : كلا . . هذا محال . سيعدونه تراجعا منا ، وماذا بى الآن ؟ ألستم قد عصبتم رأسى وكفى ؟

بلاكويل : يجب ستر هذه العصابة يا سيدى بقبعة كبيرة حتى لا يراها القوم !

الطبيب : لكن يا سيدى ينبغى أن تستريح الليلة .

يفن : أنا أستريح ! كلا . إن الذى ينبغى له أن يستريح إنما هو المستر أتلى لا أنا .

الطبيب : لكن يا سيدى . .

يفن : كفى اعتراضا علىّ !

(يدخل المستر أتلى)

بيفن : أنت هنا يا مستر أتلى ! ماذا جاء بك من لندن ؟

أتلى : جئت أمس لأطمئن عليك ، فقد صعقت لما بلغنى الحادث .

بيفن : أشكرك . لا داعى لكل هذا القلق فإنى بخير .

اتلى : هل فى وسعك الليلة أن تشهد المفاوضة أم . . . ؟

بيفن : كيف لا أشهدها ؟ أتظن أن فى وسعك أن تفاوضهم مكانى ؟ كأنك جئت هنا لهذا الغرض ؟

اتلى : كلا يا مستر بيفن . . ما من أحد يجزىء عنك . . ولكن فى الإمكان تأجيلها حتى تستعيد قواك .

الطبيب : أجل يا مستر أتلى : أقنع المستر بيفن بوجوب البقاء هنا ولو ليلة واحدة ، فإنى أخشى عليه من الحركة .

بيفن : (منفعلا) أتريدون أن توهمونى بأنى ضعيف لا أقوى على الحركة ؟ (ينهض عن سريره بقوة) ويلكم . . إنى أتحدى أى واحد منكم أن يصارعنى الآن ؟

بلاكويل : من شاء أن يجرب فليفعل . أما أنا فإنى مقتنع بقوتك !

اتلى : أنا أيضا مقتنع بذلك ، ولكننى متطير من السقطة التى سقطتها من على كرسيك فى هذه المدينة . ولذلك أرى أن نؤجل المفاوضة ، ونعقدها فى لندن بدلا من بورتسموث المشئومة .

بيفن : دعنى من وساوسك هذه ، فلو كنت خرافيا مثلك ما أنجزت فى حياتى عملا قط .

(٢)

عقب توقيع المعاهدة فى بورنسموث

أتلى : أهنئك يا مستر يفن على هذا النجاح العظيم .

يفن : أهذا كل ما تستطيع قوله فى هذه المناسبة ؟ فأين ذهبت شاعريتك !

أتلى : أنى لشاعر — مهما كان عظيما — أن يوفى هذا النجاح حقه من الإشادة والتقريظ ؟

يفن : (يبتسم راضيا) : بورك فيك . فهل أنجزت القصيدة التى اقترحتها عليك فى مدح الوفد العراقى ؟

أتلى : قد نظمت معظم أبياتها ، وما بقى علىّ إلا أن أختمها .

يفن : أرجو أن تكون رائعة .

أتلى : ستسمعها فى حفلة التكريم الكبرى ، وسترى كيف تلهب الأكف بالتصفيق .

يفن : لتفخر الامبراطورية بى وبك . أنا بانى الصرح الشامخ ، وأنت الشاعر الذى يخلده !

أتلى : (بصوت خافض) . ترى أيهما أبقى على مر الزمن : الصرح أم الشعر ؟

يفن : ماذا تقول ؟

أتلى : لا شىء يا مستر يفن . إنما حدثت نفسى بأنك أنت الأصل وأنا الفرع

(٣)

فى فندق دورشستر بلندن حيث تقام الحفلة الكبرى لتكريم الوفد العراقى ، وقد حضرها لفيف من أعضاء مجلسى العموم واللوردات وكبار الساسة البريطانيين ، وبعض كبراء العرب

الموجودين فى لندن . ويرى فى صـدر المكان العلمان البريطانى والعراقى مرفوعين .

(يعزف السلامان الملكيان البريطانى فالعراقى فيقف الحاضرون إجلالا ثم يجلسون .)

مدير الحفلة : (على الميكروفون) سيداتى ... سادتى . لى الشرف بأن أقدم إليكم دولة رئيس الوزارة المستر كليمنت أتلى ليلقى قصيدته الرائعة

(تدوى القاعة بالتصفيق بينما يتقدم المستر أتلى فى تؤدة ليعتلى المنصة)

نائب معارض: (ينهض من مجلسه) إنى أعترض بشدة على هذه البدعة السخيفة فليس من تقاليدنا أن تفتتح الحفلات الرسمية بقصائد من الشعر . وأسخف من ذلك أن يقوم رئيس وزرائنا بإلقـــاء قصيدة من شعره فى حفلة دبلوماسية .

بيفن : (يقوم من مقعده) أيها السادة إنى لأشعر بالرثاء لخصومنا هؤلاء الذين ضاقت بهم ميادين النقد والتجريح لأعمالنا ، فأخذوا يتجنون علينا ، ويتمسكون بهذه الشكليات التافهة .

المعارض : ألا تعترف معى بأن هذه بدعة خارجة على تقاليـدنا فى الحفلات الرسمية ؟

بيفن : إننا حزب تجديد وإصلاح . نؤثر الابتكار الصالح على التشبث الأعمى بالتقاليد الشكلية البالية . وإن رئيسنا رجل وهبه الله ملكة الشعر ، فلم لا يظهر عبقريته فى الترحيب بضيوفنا الكرام ؟

المعارض : لـكنا ما جئنا ولا جاء ضيوفنا الـكرام للاستماع إلى آيات شعره

بيفن : لو علم النائب المحترم أن العرب ميالون إلى سماع قصائد المدح فى حفلاتهم لما كدر صفو حفلتنا هذه بهذا الاعتراض الذى لا وجه له . وفى وسع ضيوفنا الـكرام أن يؤيدوا مقالى هذا .

نوري السعيد: الواقع أننا معشر العرب نطرب للشعر ونعجب به . ولا يسعنا إلا أن نشكر لدولة رئيس الوزارة عنايته البالغة بمراعاة شعورنا .

بيفن : تفضل يا مستر أتلي .

اتلي : (على المنصة يلقي من ورقة في يده) :

قلت للتايمز مالي أراك تضطرب ؟
أجزعا من غارات الألمان ؟
أم جذلا بدولارات الأمريكان؟
أم خوفا من الخطر الأحمر الذي يقترب ؟

* * *

أجاب التايمز بلسان فصيح :
كلا ، فالألمان قد بادوا فأمنّا غاراتهم .
والأمريكان قد نفد ما أقرضونا من دولاراتهم .
أما الروس فالليث لا يفرق من دب يصيح !
(تصفيق حاد) .
قلت له : فعلام تهتز وتضطرب ؟
قال : فرحا بوفد دجلة والفرات
يحمل منهما إليّ أخلص التحيات
ويؤكد للبريطانيين صداقة العرب !

* * *

أهلا وسهلا بوفد العراق النبيل .
لقد بنى معنا أساس الصرح الشاهق .
صرح عظيم بفضل بانيَيْهما ناطق .
يبقى على الدهر جيلا بعد جيل !

(ينزل عن المنصة بينما تضج القاعة بالتصفيق)

هتافات : تحيا بريطانيا والعراق ! تحيا معاهدة بورتسموث !

مدير الحفلة : سيداتى سادتى . يتقدم الآن بانى الصرح الشاهق المستر إرنست
بيفن ليلقى كلمته (تصفيق) .

بيفن : (يعتلى المنصة) : حضرة رئيس الوفد العراقى الأفخم . . .
حضرات أعضاء الوفد المحترمين : حضرات السيدات والسادة :
إننى طول عمرى رجل عملى أومن بالواقع وأنفر من الشعر ،
لاعتقادى بأن الشعراء قوم فارغون ، يقولون ما لا يفعلون ،
وفى أودية الأوهام يتيهون ، بيد أنى الليلة فقط وددت لو كنت
شاعراً لأكون أقدر على التعبير عما يخالج قلبى من السرور
العظيم ، والترحيب العميق بضيوفنا الأعزاء أعضاء الوفد العراقى
النبيل . (تصفيق) ولعل عزائى الوحيد أن رئيسنا المحبوب
وشاعرنا الموهوب المستر أتلى قد ترجم بقصيدته الرائعة عما يختلج
فى صدورنا جميعاً (تصفيق) .

سيداتى سادتى : لقد أوضحت فى البيان الذى ألقيته أمس
بمجلس العموم أن هذه المعاهدة العراقية البريطانية التى اقترنت
باسم تلك المدينة المجيدة بورتسموث تعنى أكثر من معاهدة
جديدة بين العراق وهذه البلاد ، إذ تهدف إلى حل مشاكل
الشرق الأوسط كلها جملة واحدة ، وتكوين جبهة قوية متحدة
للدفاع عن سلامة ذلك الجزء الهام من العالم الذى كان ولا يزال
ضرورياً لصون مصالحنا ومواصلاتنا الامبراطورية ، فإذا ما دق
ناقوس الخطر ، وقدر للشعوب الديمقراطية أن تنتصر كرة أخرى
فى الصراع العالمى القادم ، وتنقذ الحضارة البشرية من الدمار ،
وتصون الحرية والكرامة الإنسانية من الطغيان الدكتاتورى
الجديد ، فسيكون الفضل الأول فى ذلك لهذين البلدين المجيدين
العراق وبريطانيا !

« يسقط فجأة العلم البريطانى المرفوع فى صدر المكان فيتطير الحاضرون ويتهامسون » .

يفن : لا تتشاءموا ولا تتطيروا فإنما اهتز هذا العلم البريطانى وغلبه الخشوع فخر راكعاً ليؤكد لزميله العلم العراقى أنه لن يتعالى عليه يوماً من الأيام ، بل سيكون دائماً صديقاً مخلصاً متواضعاً مستعداً فى كل لحظة أن يبرهن للشعب العراقى وسائر الشعوب العربية على إخلاص بريطانيا فى صداقتها لهم ، ورغبتها الحقيقية فى التعاون معهم على أساس المساواة التامة لصون السلام المشترك فى ذلك الركن الحيوى من العالم ! (تصفيق حاد) .

المعارض : (ينهض) أنا لا أومن بالخرافات ، فالحق أن العلم البريطانى لم يسقط من مكانه الليلة إلا لأن الذى رفعه قد قصر فى تثبيته . فيجب أن يحاسب على تقصيره . أما وقد سرت إلى المستر يفن عدوى الشاعرية من رئيسه ، فخلا له أن يعلل هذا الحادث ذلك التعليل الطريف ، فاسمحوا لى أن آتى بتعليل لايقل طرافة عما أتى به المستر يفن ، بل يفوقه انطباقاً على الواقع . إن هذا العلم لم يجد طريقة أبلغ من السقوط على وجهه أمام الأشهاد للتعبير عن سخطه الشديد على هذه المغامرة الجديدة التى يقوم بها المستر يفن فى سياسة الشرق الأوسط ، دون أن يتثبت من إمكان نجاحها .

يفن : هذا تعليل طريف حقاً لولا أن نجاح ما تسميه بالمغامرة ليس ممكناً فحسب ، بل هو أمر مؤكد . إن معاهدة بورتسموث — وليقل خصوم الحكومة ماشاءوا — لهى حل سعيد ، وفاتحة عهد جديد . (تصفيق)

المعارض : كان يكون هذا صحيحاً لوقدر لهذه المعاهدة النجاح .

بيفن : فقد قدر لها النجاح وقضى الأمر !

المعـــارض : بل كتب عليها الإخفاق وقضى الأمر !

بيفن : تذكر أنه قد تم التوقيع عليها من الجانبين .

المعـــارض : نعم قد تم التوقيع عليها فى بورتسموث ، ولكن ما يدريك ألا يكون مصيرها التمزيق فى بغداد ؟ .

نورى السعيد: ليسمح لى حضرة النائب المحترم أن أطمئنه بأن المعاهدة قد تم الاتفاق عليها فى بغداد قبل توقيعها فى بورتسموث .

المعـــارض : وليسمح لى عضو الوفد العراقى المحترم أن أتم مناقشتى لوزير خارجيتنا صاحب المغامرة الجريئة . فقد كان على المستر بيفن ألا يذيع على العالم بيانه التاريخى أمس حتى يتأكد من أن الذين تركهم أعضاء الوفد العراقى فى بلادهم لن يرموا هذه المعاهدة فى وجوهنا !

أصوات : اسكت ! اسكت !

المعـــارض : ليعلم أعضاء الوفد العراقى أننا لا نقبل مطلقا أن تصير تصريحات وزير خارجيتنا أضحوكة للعالم !

بيفن : لقد حرت أيها السادة فى فهم ما يعنى حضرة النائب المحترم .

المعـــارض : نريد أن يكون الوفد الذى يأتى لمفاوضتنا وفداً صحيحا علك الحل والعقد ، ويمثل الشعب العراقى ، لا وفداً مفتعلا لا يمثل إلا نفسه !

صالح جبر : إنى أحتج على هذا التجريح الذى لاحق لنائب مسئول أن يوجهه إلى وفد دولة أخرى ذات سيادة !

المعـــارض : معذرة فما قصدى تجريحكم ، بل تنبيهكم إلى أن أكبر رأس فى بلادكم قد جرحكم وأنتم لا تعلمون !

نورى السعيد: ماذا تعنى ؟ إن سمو الوصى على العرش ليؤيدنا كل التأييد .

المعـــارض : إنى لا ألومكم وأنتم فى غير بلادكم أن يفوتكم ما نشرته روتر

الساعة ، ولكنى ألوم وزير خارجيتنا ألا يطلع على النشرة قبـــلى ! . . .

بيفن : قد شغلتنى هذه الجملة ، ولكن أى شىء فى النشرة يقتضى هذا الاهتمام الكبير ؟

العـــارض . (يلوّح بالنشرة فى يده) : هذا الوصى على العرش يقول للشعب الهائج إنه لن يوافق على معاهدة لا تحقق السيادة الكاملة للعراق !

(يسلم النشرة لبيفن)

صالح جبر : هذا لا يمكن أن يكون .

نورى السعيد: إن صح هذا فلعل سمو الوصى يريد تهدئة الشعب الذى لم يفهم المعاهدة على وجهها إلى أن نعود إلى البلاد فنشرح لهم مزاياها .

بيفن : (مربد الوجه) : دسيسة من موسكو لا ريب !

نورى السعيد: أؤكد لكم أيها السادة أن هذه الزوبعة التى أثارتها شرذمة من خصوم الحكومة الحاضرة فى بلادنا لا تلبث أن تنقشع حين نعود إليها فنشرح للشعب المخدوع حقيقة المعاهدة الجديدة .

بيفن : إذن فالبدار البدار بالرحيل ، غير مطرودين ولا مودعين . .

نورى السعيد: ليس فى الأمر ما يقتضى هذه العجلة .

بيفن : كلا بل لا بد من التعجيل بالسفر قبل أن يتفاقم الأمر . إنى أعلم أنكم قد ارتبطتم بمواعيد لحضور حفلات أخرى ستقام لكم فى هذه البـــلاد ، ولكن لا بأس أن تعتذروا عن حضورها إلى أولئك الداعين .

صالح جبر : (غاضباً) : ثق يا مستر بيفن أننا لسنا بحاجة إلى هذا التنبيه منك !

بيفن : إنما قصـــدى أن تبادروا لإنقاذ مشروعنا العظيم من الخطر ، أما حفلات التكريم فمحفوظة لكم فى فرصة أخرى .

صالح جبر : أرجو أن تتروى فى كلامك ، فلسنا ممن تفتنه حفلات التكريم .

بيفن : إننى رجل صريح ، فإن وجدتم فى كلامى ما تحسبونه ماساً بكرامتكم فإنى مستعد للاعتذار .

أتلى : أرجو أن نعتبر ما كان كأن لم يكن ، فنستمر الآن فى حفلتنا ، وليلق من له الكلمة كلمته . .

مدير الحملة : الكلمة لحضرة صاحب الدولة رئيس الوفد العراقى . . .

(تصفيق) .

صالح جبر : (فى مكانه لم يتحرك) : سألقى كلمتى فى أول حفلة تقيمونها لنا بعد العودة من بلادنا ، فقد تفضل المستر بيفن فوعد بأن يحفظ لنا حقنا فى تلك الحفلات !

بيفن : هذا كلام لا يخلو من الموجدة علىّ . ولكنى سأؤيده على اعتبار أن هذه الحفلة ستبقى قائمة مستمرة حتى يعود الوفد إلينا بعد إصلاح الحالة فى بلاده ، فنستأنف الحفلة وتكون كلمة السيد صالح جبر مسك ختامها .

المعارض . إذن فربما تمتد هذه الحفلة شهوراً ، وربما تبقى مفتوحة إلى الأبد !

نورى السعيد: سيعلم حضرة النائب المحترم أن أمدها لن يطول ، إلا ريثما ترحل بنا الطائرة من لندن إلى بغداد ، ثم من بغداد إلى لندن .

(ينهض صالح جبر للانصراف ، فينهض معه أعضاء الوفد) .

أتلى . هلا تجلسون قليلا أيها السادة ، فإنكم ما شربتم الشاى بعد . .

بيفن : أجل ، أتموا شرب الشاى فإن ذلك لن يؤخركم .

صالح جبر : (كاظماً غيظه) : سنشرب الشاى فى بغداد !

نورى السعيد: (يصطنع الابتسام) : بل سنشربه هنا بعد العودة .

« ستار »

رئيس وزارة أم سائق سيارة

(١)

فى ديوان الإقامة العامة « مقر المقيم العام » بتونس .

(يحضر مصطفى الكعاك رئيس الوزارة فيستقبله الكاتب العام بشىء من الفتور والاحتقار .)

الكاتب : كيف الحال يامسيو كعاك . . هل من جديد ؟

الكعاك : الحال ياسيدى كما تعرف . . المجاعة تشتد فى البلاد يوما فيوما .

الكاتب : هل جئت لترفع إلينا هذا الخبر ؟

الكعاك : لا ياسيدى . . أنتم أعلم بذلك منى ، فالتقارير ترد إليكم قبلى .

الكاتب : فعلام ذكرت المجاعة ؟ أأردت أن توبخنا بذكرها ؟

الكعاك : لا تسىء بى الظن ياسيدى ، ولا تتهمنى فى ولائى لفرنسا . . . إنى ما ذكرت المجاعة إلا رداً على سؤالك ، ولا يهمنى أمرها فى قليل ولا كثير ، فما أنا بمسئول عنها ولا فى يدى علاجها .

الكاتب : فمن المسئول عنها ويلك ؟ فرنسا . . أليس كذلك ؟

الكعاك : أراك ياسيدى تحاول توريطى وتأويل كلامى بغير ما أقصد .

الكاتب : هذا فحوى كلامك .

الكعاك : كلا ياسيدى . . إننى رجل مسلم ، والمسلم يؤمن بأن الله فاعل كل شىء ، فالمجاعة من فعل الله وهو وحده القادر على دفعها .

الكاتب : لكن المسلمون هنا لا يعتقدون هذا .

الكعاك : ذلك من جهلهم بالإسلام الصحيح .

الكاتب : فماذا تقترح فى هذا الصدد ؟

الكعاك : لا أقترح شيئاً .. أرجوك ياسيدى ألا تورطنى فى هذه المزالق . ما لى ولهذه الشؤون التى ليست من اختصاصى ؟ إنما جئت لأكلم فخامة المقيم العام فى مسألة تخصنى ، فهل أستطيع ياسيدى أن أقابله الآن ؟

الكاتب : يجب أن تعلم أنه لا حق لك فى مقابلته إلا إذا هو دعاك .

الكعاك : لكنى رئيس الوزارة .

الكاتب : رئيس الوزارة يتصل بالكاتب العام ، وجلالة الباى يتصل بفخامة المقيم العام . . هكذا يقضى قانون المشاركة فى الحكم ، فلا تتطاول إلى ما ليس بحقك .

الكعاك : هل تعدنى بقضاء حاجتى إن أفضيت بها إليك ؟

الكاتب : خبّرنى أولا عن حاجتك .

الكعاك : أرجو أن تخصص الحكومة سائقا لسيارتى ، فلا ينبغى لرئيس وزارة مثلى أن يسوق سيارته بنفسه .

الكاتب : يؤسفنى أنى لا أستطيع تلبية طلبك .

الكعاك : لكن هذا حق من حقوقى !

الكاتب : هذه لهجة جديدة ما كنا نتوقع سماعها منك . أما كفاك أن جعلنا منك شيئاً مذكوراً حتى تطالبنا بحقوق لك ؟ هل غرك أننا قلدناك وسام « اللجيون دونير » ؟ فاعلم أننا منحناه لمنصبك لا لشخصك .

الكعاك : بل استحققته بالخدمة العظيمة التى أسديتها للحكومة .

الكاتب : تعنى قبولك للوزارة ؟

الكعاك : نعم ، فقد أنقذت شرف فرنسا وكرامتها حين قرر المؤتمر مقاطعتها وعدم التعاون معها فى الحكم واعتبار من يخالف هذا القرار خائنا لوطنه ، فما تقدم لها غيرى .

الكاتب : إن كان لك أى فضل فى ذلك فعلى بنى جنسك إذ كسبت لهم حق المشاركة فى الحكم ، لا على فرنسا التى تستطيع أن تحكم البلاد بدونكم !

الكماك : لكنك تعرف أن التونسيين لا يرضون بغير الاستقلال التام .

الكاتب : لأنهم حمقى لا يعرفون مصلحتهم ، ولا يقدرون فضل فرنسا فى تمدينهم ونشر العمران والرخاء فى بلادهم .

الكماك : هم يعتقدون أن فرنسا تستغل موارد بلادهم ولا تبقى لهم منها شيئا .

الكاتب : ما أوقحهم وأكفرهم للجميل ! يمنون على فرنسا بالحبوب والزيت وهى تصرفها لهم فى أسواقها ، وينسون السلع التى تصدرها فرنسا إلى هذه البلاد . . . ينسون أقلام « الروج » والروائح العطرية والملابس المفصلة على أحدث الطرز الباريسية التى لها المقام الأول فى أوساط الأناقة والجمال فى العالم !

الكماك : إنهم لا يهتمون بهذه الكماليات بل يرون أنها تستنزف أموالهم .

الكاتب : أجل إنهم بهائم لا همّ لهم إلا الحبوب والعلف . ولكنا قد أخذنا على عاتقنا أن نمدنهم ونهذب أذواقهم ونفتح عيونهم على أسرار الجمال ، ولن نتخلى عن رسالتنا هذه أبداً .

الكماك : إننى أنا التونسى الوحيد الذى يؤمن بهذه الرسالة ، ويرى أن تونس لا يمكنها الاستغناء عن فرنسا . أفلا أستحق لهذا أن أطالب الحكومة بتخصيص سائق لسيارتى حفظاً لكرامة منصبى ؟

الكاتب : لا خوف على كرامة منصبك ، فهى محفوظة بهيبتنا .

الكماك : أو قد صممتم على حرمانى هذا الحق ؟

الكاتب : إننا لا نرى هذا من حقك .

الكماك : لكنى لا أجيد سوق السيارة كما ينبغى ، وستندمون غداً حين يقع لوزيركم الأمين حادث اصطدام . . هأنذا قد أنذرتكم !

الكاتب : إن كنت لا تخشى على نفسك التهلكة فلن يخشاها عليك أحد سواك .

(٢)

المقيم العام والكاتب العام

المقيم : كم عدد الوفيات أمس ؟

الكاتب : (ينظر فى تقرير بيده) ها هو ذا يا صاحب الفخامة . . . ثلثمائة وأربع وأربعون وفاة .

المقيم : توزيعها ؟

الكاتب : ٩٩ فى منطقة القيروان . .

المقيم : هذه مركز التعصب العربى . . دع الجوع يحصدهم حصداً !

الكاتب : ٦٠ فى منطقة مجاز الباب . . و ٢٦ فى صفاقس .

المقيم : والبادية . . كم وفاة فيها ؟

الكاتب : ١٥٢ فى جبينانة وما حولها .

المقيم : مرحى ! مرحى ! دع البدو الأجلاف يبادوا جميعاً . . انهم عماد الشر ومنبع الحركة الإجرامية ضدنا . . وماذا أيضاً ؟

الكاتب : لا شيء ياسيدى . . قد تم العدد ٣٤٤ وفاة .

المقيم : أكثر من وفيات أول من أمس ؟

الكاتب : نعم ياصاحب الفخامة . . إن الزيادة مطردة .

المقيم : حمداً لله لقد كفتنا هذه المجاعة مؤونة تقتيل هذه الحشرات التى لا تساوى قيمة الرصاص الذى تقتل به ! والله لو تمثلت المجاعة شخصاً لبنينا لها تمثالا من الذهب !

الكاتب : إن الذى استطاع بكياسته وتدبيره أن يخلقها لأجدر منها بهذا التكريم .

المقيم : (يتضاحك) ويلك . . إنى ما سئمت الحياة بعد لتحبسنى فى تمثال !

الكاتب : ليس الآن ياسيدى ، بل بعد عمر طويل .

المقيم : لقد نجحت الخطة دون أن تثير ارتياب أحد . . أليس كذلك ؟

الـكاتب : أجل . . . تلك هى البراعة يا ســيدى ، كأنما الأمور تجرى طوع مشيئتك !

المقيم : كلا ، إن الأمور لا تجرى طوع مشيئتى ، فهذا الذى تراه إن هو إلا نتيجة تفكير طويل وتدبير شاق وسعى أشق وأطول .

الـكاتب : بالطبع يا سيدى ، بالطبع . .

المقيم : إذا سارت الأمور على هذه الوتيرة فلن ينقضى هذا العام حتى يكون فى وسعنا أن نستورد ربع مليون مهاجر من الفرنسيين وغيرهم ليحلوا محل هذه الحشرات المقرضة .

الـكاتب : حبذا لو كانوا جميعا من الفرنسيين حتى يتم التجانس .

المقيم : لـكنا لا نضمن وجود هذا العدد من الفرنسيين الراغبين فى الهجرة ، بالرغم من الامتيازات العظيمة التى تغريهم بها فى هـذه البلاد والأراضى الزراعية التى نقطعها لهم مجانا .

الـكاتب : يجب القيام بدعاية واسعة فى أوساط الفلاحين الفرنسيين لترغيبهم فى الهجرة .

المقيم : لا داعى لهذه المشقة الآن ما دمنا نجد الراغبين فى الهجرة من الأجانب ، فكل همنا أن نلاشى الوطنيين سـواء بالفرنسيين أو بغيرهم . . بل لعل الأقليات الأجنبية أعون على تثبيتنا وتوطيد سلطتنا من الفرنسيين أنفسهم إذ لا شك أن هؤلاء الأجانب أطوع لنا وأقل إثارة للمتاعب من المستعمرين الفرنسيين .

الـكاتب : هذا حق ياسيدى ، ولـكنهم أبناء فرنسا ، ولهم الدالة على أمهم .

المقيم : أبواب البلاد مفتوحة أمامهم على كل حال ، وهم المفضلون على غيرهم إن رغبوا فى الهجرة

الـكاتب : ليت شعرى متى يدركون أنهم بالهجرة إلى هـذه البلاد يخدمون وطنهم أكثر مما يخدمونه ببقائهم فى فرنسا ؟

المقيم : لا فائدة فى انتظار ذلك . إنهم هناك مشغولون بالتطاحن الحزبى عن الالتفات إلى خطر الجامعة العربية الذى يوشك أن يبتلع الشمال الأفريقى كله . أستطيع أن أؤكد لك أن سواد الشعب الفرنسى لا يدرك هذا الخطر العربى على بلادنا هذه ، بل إن كثيرا منهم لم يسمع بوجود الجامعة العربية قط . أحزاب اليمين وأحزاب اليسار كلهم نكبة على فرنسا !

الكاتب : أجل أولئك الزعماء الذين لا تخلو الصحف يوما من صورهم وأخبارهم يحسبون أنهم يقررون مصير فرنسا ، ولا يدرون أن مصيرها إنما هو فى أيدى أمثالك من الذين يخدمونها خارج الوطن فى صمت وإخلاص .

المقيم : (يتنهد) : آه . . دعنا من هذه الأمور فإن ذكرها لا يورثنا إلا الأسى والكمد . . أرنى هذا التقرير لألقى نظرة عليه .

الكاتب : قد تلوت مضمونه عليك . .

المقيم : لا بأس .

الكاتب : تفضل يا سيدى (يناوله التقرير الذى كان فى يده) .

المقيم : (ينظر فيه مليا) : ألم تلحظ أن أهل الجنوب لم يتأثروا بالمجاعة كما ينبغى ؟

الكاتب : بلى يا سيدى ، قد عنت لى هذه الملاحظة ، ولكنى نسيت أن ألفت إليها نظرك .

المقيم : أغلب الظن أنهم أخفوا عن الحكومة كثيرا من حبوبهم .

الكاتب : لا يبعد أنهم اتخذوا لهم أهراء فى باطن الأرض يخفون فيها حبوبهم .

المقيم : يجب القيام بتفتيش دقيق فى منازلهم لاكتشاف تلك الأهراء السرية .

الكاتب : غدا سأصدر أوامرى بذلك ، وبمصادرة كل ما يوجد عندهم من الحبوب

المقيم : إن الخيانة لفرنسا قد عجنت بها لحومهم ودماؤهم ، فلا تستطيع السياط على ظهورهم أن تخرجها ، ولا علاج لهم إلا الموت . . هذه المجاعة هي خير علاج لهذه الكلاب المسعورة .

الكاتب : نعم يجب أن نعنى بتنمية المجاعة بكل ما أوتينا من قوة . .

المقيم : أهم من ذلك أن نحافظ على كتمانها حتى لا تتسرب أخبارها إلى الخارج

الكاتب : لا خوف من ذلك بعد ما منعنا المراسلين الأجانب من دخول البلاد .

المقيم : إنما خوفي من مراسلي صحفنا الفرنسية ، ولا سبيل إلى منع هؤلاء ، فهذه الصحف لا تهتم بمصلحة فرنسا اهتمامها بالسبق الصحفي ، وقد دأبنا على إسكاتها بالمال ، ولكني أخشى أن يكون الإعتماد الذى خصصناه لذلك من خزانة هذه البلاد غير كاف .

الكاتب : كان على حكومة باريس أن تعيننا في هذه النفقات السرية

المقيم : هذا محال . . . يكفينا منها فقط أن تدرك أهمية هذا العمل ، فلا تلومنا على إنفاق المال فيه ، وتطالبنا بإرساله إلى خزانتها .

الكاتب : لم لا نزيد الاعتماد المخصص لذلك ؟

المقيم : مهما نفعل فلا بد أن ينتشر خبر المجاعة وشيكا ، وسيكون الفضل في ذلك لإحدى الصحف الباريسية .

الكاتب : فما العمل ؟

المقيم : يبدو لى أن الأفضل أن نسبق نحن إلى الإعلان عنها بصورة تتفق مع مصلحتنا .

الكاتب : كيف ياسيدى ؟

المقيم : لا غنى لنا في ذلك من الاستنارة برأى الكعاك .

الكاتب : وأى رأى عند هذا الأحمق المأفون ؟

المقيم : أراك شديد التحامل عليه . . إنه بعدُ ليس رديئاً كما تظن ، فكثيراً ما أتحفنا بآراء مدهشة .

الكاتب : لكن ما شأن السكعاك بهذا الأمر ؟

المقيم : سترى ذلك فيما بعد . . . قل لى كيف حاله الآن ؟

الكاتب : لا أعرف عن حاله شيئا إلا أنه لا يزال مقيما فى المستشفى ولم أره منذ يوم الحادث .

المقيم : الواقع أنى قصرت فى حقه إذ لم أعده بنفسى وأسأل عن حاله .

الكاتب : إنه لا يستحق هذا الشرف . . . بحسبي أنى عدته يوم الحادث بالنيابة عنك ، وإن ذلك لكثير عليه لو لا أمرك .

المقيم : أما أنا فلا أرى رأيك فيه ، ونحن الآن فى حاجة إليه ، فدعنا نمضى لزيارته.

الكاتب : إنه مغرور بنفسه ، وسيزيده تشريفك له غروراً على غرور ، فإن شئت زرته بالنيابة عنك . .

المقيم : كلا سأذهب إليه بنفسى ، فإن كنت تكره رؤيته فلا حرج عليك .

الكاتب : بل سأصحبك يا سيدى ، لا أتركه ينفرد بك فيثقل عليك بسماجاته .

المقيم : (يبتسم) إن أمرك لعجيب ، كأنما بينك وبينه ثأر ا .

الكاتب : قد آليت على نفسى ألا أدع هذا التونسى الحقير يطاول أسياده !

(٣)

فى غرفة من غرف المستشفى الكبير بمدينة تونس (يرى مصطفى السكعاك واقفا أمام المرآة يسرح الشعرات الباقية من رأسه الأصلع ، وقد وقفت إحدى الممرضات قريبا منه)

السكعاك : خبرينى أأنت إيطالية ؟ .

الممرضة : نعم يا سيدى . . . قد قلت لك هذا مراراً . . . قل لى ما طلبك ؟ إنهم ينتظروننى أسفل .

السكعاك : بل قفى قليلا حتى أتذكر الطلب . فقد نسيته ا

الممرضة : سأذهب الآن ثم أعود إليك وقد تذكرت ما تريد .

الـكماك : كلا يا صغيرى . . ابقى عندى حتى أتذكره .

الممرضة : قد يطول نسيانك هذا فيطول وقوفى .

الـكماك : إن طال وقوفك فهو عقاب لك !

الممرضة : عقاب ! ماذا جنيت يا سيدى ؟ .

الـكماك : إن هذا الجمال هو الذى أنسانى طلبى ، فيجب أن أعاقبه ! اقتربى منى قليلا لعل عينيك تذكرانى . .

(يدخل رئيس الخدم)

الـكماك : ويلك يا وقح . . . أتدخل بدون استئذان ؟

رئيس الخدم: لا تؤاخذنى يا سيدى . . . إن فخامة المقيم العام آت لزيارتك .

الـكماك : فخامة المقيم العام ! أين هو الآن ؟

رئيس الخدم: يصعد الدرج . هل من خدمة يا سيدى ؟

الـكماك : لا . . . انصرف أنت من هنا .

رئيس الخدم: سمعا يا سيدى (يخرج) .

الـكماك : (يثب على السرير فيستلقى عليه) : هلمى يا هذه . . . سوّى الغطاء علىّ ؟

الممرضة : (تسوى الغطاء عليه) ألا تقول لى يا سيدى ما طلبك ؟

الـكماك : (مضطربا) ليس الآن . . ليس الآن . . قفى أنت الآن خارج الغرفة . .

الممرضة : الحمد لله قد نجوت من العقاب ! (تخرج)

(يدخل المقيم العام والـكاتب العام يتقدمهما رئيس المستشفى)

الـكماك : (يستوى جالسا على سريره) : مرحبا بك يا صاحب الفخامة ! لماذا تكلف نفسك كل هذه المشقة من أجلى ؟

المقيم : ما قمت إلا بواجبى يا مسيو كماك ، بل أرانى مقصرا إذ لم أبادر بالسؤال عنك .

السكماك : كلا يا صاحب الفخامة . . لقد أوفدت سعادة الكاتب العام لزيارتى يوم الحادث المشؤم ، وهأنتما الآن تعودانى مرة أخرى ، فليت شعرى كيف أشكركما ؟.

(يقدم رئيس المستشفى كرسيين لهما فيجلسان ، وينحنى هو احتراما وينصرف) .

المقيم : وكيف حالك الآن يا مسيو كماك ؟

السكماك : الحمد لله ، إننى الآن بخير . . لقد نجوت يا صاحب الفخامة من موت محقق .

المقيم : لقد انزعجت كثيرا لما سمعت بالحادث .

السكماك : شكرا يا سيدى . . . لا أسمعك الله مكروها فى عزيز لديك .

المقيم : حقا إنه لحادث مؤسف . .

السكماك : أما أنا فقد حمدت الله إذ لطف بى ، بل أستطيع اليوم أن أعد هذا الحادث نعمة علىّ إذ أتاح لى شرف تعطفكم بالزيارة ، وأرجو أن يحقق لى مطلباً آخر طالما تمنيت أن تنعموا به علىّ .

المقيم : ما هو يا مسيو كماك ؟

السكماك : أظن سعادة الكاتب العام يعرف مطلبى ، فقد رأى بعينيه كيف أنه ضرورى لحفظ حياتى من خطر الهلاك فى حادث مشؤوم كهذا .

الكاتب : (للمقيم) إنه يطمع فى تخصيص سائق لسيارته .

السكماك : نعم يا صاحب الفخامة حفظاً لحياتى وصونا لكرامة منصبى .

المقيم : سننظر فى أمر هذا الطلب .

الكاتب : لكن لا وجه لهذا الطلب يا صاحب الفخامة . . إنه تبديد لأموال الحكومة لا مبرر له ، ولا سيما والبلاد الآن فى مجاعة .

السكماك : إنك دائما تقف فى طريقى .

الكاتب : يجب ألا تتطاول إلى ما ليس بحقك !

الكعاك : قد خصصت الحكومة سائقاً لسيارتك فيجب أن تخصص سائقاً لسيارتى أيضاً فنحن فى درجة واحدة بمقتضى قانون المشاركة فى الحكم

الكاتب : أنت مثلى ! هذه وقاحة لا تطاق . . إن قانون المشاركة يسوى بين منصبينا ولكن لا يسوى بين شخصينا : أنا فرنسى وما أنت إلا تونسى !

المقيم : لا تقل هذا فكلاكما من أبناء فرنسا .

الكاتب : عليه أن يعرف لفرنسا فضلها إذ خوّلته شرف الانتماء إليها فلا يتطاول على أبنائها الأقحاح !

الكعاك : إنى ما طلبت إلا حقا لى بمقتضى دستور المشاركة الذى وضعته فرنسا ، فكيف يعد هذا تطاولا على أبنائها ؟

المقيم : حسنا يا مسيو كعاك ، سننظر فى أمر طلبك .

الكاتب : إننى أنذرك يا صاحب الفخامة ، لئن سويت بينى وبين الكعاك لأستقيلن من منصبى !

الكعاك : سبحان الله . . تتهمنى بالتطاول عليك وأنت فى درجتى ، ثم تعمد إلى من هو أرفع منزلة منى ومنك فتتطاول عليه وتعترض على قراره!

الكاتب : اسكت . . لا تتداخل فيما بيننا نحن الفرنسيين !

المقيم : نعم . . قد أخطأت فى هذه يا مسيو كعاك .

الكاتب : أرأيت يا صاحب الفخامة صلفه وغروره ؟ هو اليوم يرى نفسه فى درجتى ، وغداً يرى نفسه فى درجتك !

الكعاك : يا سادتى ، إنى ما طلبت السائق لسيارتى إلا حفظا لكرامة المنصب ، وصونا لهيبة فرنسا فى هذه البلاد .

الكاتب : نحن الذين نمثل فرنسا هنا . أما أنت فلا تمثل إلا هؤلاء التونسيين الرعاع !

الكعاك : كلا إنى لا أمثل إلا فرنسا التى وضعتنى فى منصبى على رغم هؤلاء

التونسيين الرعاع . أما إذا شئت من يمثلهم حقا فاستدع الحبيب أبا رقيبة من مصر ليتولى الوزارة مكانى ، فسترى حينئذ أنه لايرضى بك أنت سائقاً لسيارته !

الكاتب : (يرتعد غضباً ويشد شعره ويصر بأسنانه غيظاً) أسمعت هذا التونسى الوقح كيف يذكر عدو فرنسا اللدود أمامنا ، وكيف يشتمنى ويستهزىء بى !

السكعاك : ما حيلتى إذا كنت لا تحب أن يذكر صديق فرنسا الوفى بخير أمامك؟

المقيم : لكنك شتمته ، وهذه كبيرة منك .

السكعاك : كلا يا سيدى ما شتمته .

الكاتب : ألم تقل إن أبا رقيبة لا يرضى بى سائقاً لسيارته ؟

السكعاك : ما هذا بشتيمة . . هذا حق . هذه عنقى فاقطعوها إن رضى أبو رقيبة أن يتخذك سائقاً لسيارته ! وأنا ما طمعت قط أن تكون أنت سائق سيارتى ، بل طلبت أى سائق تونسى ، فعلام تعارض طلبى؟

الكاتب : أسمعت هذه الوقاحة يا صاحب الفخامة ؟

المقيم : كفى ملاحاة ، فما لهذا جئنا .

السكعاك : قد رأيت يا سيدى كيف تهجم على ، وإنى آسف لما بدر منى على كل حال .

المقيم : دع عنك هذا . . أريد الآن أن أستنير برأيك فى مسألة هامة .

السكعاك : إنى تحت أمرك يا فخامة المقيم .

المقيم : إنا لا نأمن أن ينتشر خبر المجاعة فى الخارج ، فرأينا أن نعلن عنها بما يتفق مع مصلحة فرنسا ، وأن ننتحل لها سبباً مقبولا تسقط به عن فرنسا التبعة . . فما رأيك ؟ هل لديك اقتراح بهذا الصدد ؟

السكعاك : لن يصح لى رأى يا سيدى إلا إذا وعدتنى بتحقيق مطلبى .

المقيم : أعدك بأن هذا الطلب سيكون موضع النظر .

الكاتب : لكن يا صاحب الفخامة ...

المقيم : (يغمز له جفنيه) لا شأن لك أنت الآن ! (للكعاك) : ماذا تقترح يا مسيو كعاك ؟

الكعاك : (مزهواً بنفسه) أما وقد وعدتني بتحقيق مطلبي فهاك عصارة ذهني ! سندعو الأمة إلى إقامة صلاة استسقاء عامة . .

المقيم : صلاة استسقاء ؟ ما معنى ذلك ؟

الكعاك : هي صلاة خاصة معروفة عند المسلمين ، يقيمونها عند ما يشتد الجفاف والقحط ، فيدعون الله فيها أن ينزل عليهم الغيث فيعم الرخاء .

الكاتب : ومن قال لك إننا نريد أن يعم الرخاء ؟

الكعاك : (متشفيا) لا تعجل ياسيدي ، ليس كل امرىء يقدر أن يدرك مغزى حديثي من أول وهلة !

المقيم : أتمم حديثك يا مسيو كعاك .

الكعاك : الغرض من إقامة هذه الصلاة أن نفهم سواد الناس في هذه البلاد أن سبب المجاعة هو احتباس المطر ، وأن الحكومة ستحيي هذه السنة النبوية لحبها الإسلام واحترامها شعائره . وستذاع أنباء هذه المظاهرة الدينية العامة ، فتكون دعاية طيبة لفرنسا في الخارج . . إن الناس في الخارج قلما يعلمون أن عندنا نهيرات تصب مياهها في البحر دون أن نستفيد منها شيئاً ، فلن يصعب عليهم أن يصدقوا أن سبب المجاعة إنما هو الجفاف وقلة الماء .

المقيم : مرحى يا مسيو كعاك هذه فكرة رائعة !

الكعاك : ما أريد عليها أجراً إلا تحقيق مطلبي . . فعجّل بذلك يا سيدي ، فخير البر عاجله .

الكاتب : أذكّرك يا صاحب الفخامة أنني سأستقيل إن سويت بيني وبينه !

المقيم : إني والله لفي حيرة من أمركما ، لا أدري ماذا أصنع .

الكماك : هل يرضيك ياصاحب الفخامة أن تقع لى حادثة أخرى فتودي بحياتى؟

الكاتب : لا تصدقه يا صاحب الفخامة ، فإنه يجيد السياقة إجادة تامة . . أؤكد لك يا سيدى أنه سائق ممتاز !

الكماك : لو صح هذا لما قضيت هذين الأسبوعين فى هذا المستشفى .

الكاتب : عندى ما يثبت أن حادثة الاصطدام إنما دبرتها أنت عمداً ، وأنك كنت تسوق السيارة ببطء شديد حين صدمت بها الشجرة ، ولولا ذلك لتحطمت وتحطمت أنت معها .

الكماك : هذه دعوى باطلة . . لا تصدقه ياسيدى . . لا تصدقه !

الكاتب : ها هو ذا تقرير الطبيب يوم الحادث (يسلم المقيم ورقة أخرجها من جيبه)

المقيم : (ينظر هنيهة فى الورقة ثم يقهقه ضاحكا) ويلك يا مسيو كماك . . لقد كشفنا حيلتك !

الكماك : كلا يا سيدى . . إنه هو الذى أوعز للطبيب أن يكتب هذا التقرير الكاذب .

المقيم : صه . . هذا طبيب فرنسى ، لا يجوز لك أن تتهمه بالكذب !

الكاتب : هل بقى للفرنسيين حرمة عند هذا الكماك المغرور !

المقيم : أشهد إنه لبارع فى اصطناع الحيل !

الكماك : أؤكد لك ياصاحب الفخامة إنها لحادثة صحيحة ، وليست حيلة .

المقيم : (يستمر فى ضحكه) ويلك يامسيو كماك . . إنك لتذكرنى بأولئك الشحاذين الذين يفتعلون العاهات المختلفة فى أبدانهم ليستدروا بها عطف الناس !

« ستار »

اللهم حوالينا ولا علينا

(١)

في ديوان الإقامة العامة بتونس

المقيم العام يستقبل وفدا من أعيان المدينة ووجهائها

المقيم : مرحبا بكم ، وان كنت أكره هذا التظاهر والتجمع وإرسال الوفود !

لسان الوفد : نحن وفد سلام وخير ياصاحب الفخامة .

المقيم : وهل كنت أستقبلكم لولا ثقتي بولائكم لفرنسا ، وحسن إدراككم لمصلحتكم ومصلحة بلادكم الحقيقية ؟ ولكن هذا التظاهر منكم سيدفع الناس إلى القيل والقال ، وقد يجرئهم على الشكوى والشغب .

لسان الوفد : بل جئنا ياصاحب الفخامة لنساعد على الحيلولة دون وقوع هذا المحذور . لقد شاع في الناس أنكم سترفضون المعونة المالية التي قررتها الجامعة العربية لإغاثة المنكوبين بالمجاعة في هذه البلاد ، فرأينا أن الجدير بحسن سياستكم أن تصدروا بيانا لتكذيب هذه الاشاعة .

المقيم : ويلكم ، أقد مستكم عدوى الاعتراض على أوامر الحكومة وقراراتها ؟

لسان الوفد : كلا . . إننا لا نعترض على شيء ، وإنما نؤدي ما علينا من واجب النصح ، فلو أصدرتم هذا البيان لماتت الإشاعة الخبيثة !

المقيم : لكن هذه ليست إشاعة لقد قررنا فعلا أن نرفض تلك المعونة كما رفضنا مثلها فى العام الماضى .

لسان الوفد : هلا تراجعون الحكومة فى هذا القرار ، فإن المجاعة قد أخرجت النفوس من صوابها ، فلا يؤمن أن تثور ثورة اليأس على من يحرمها معونة إخوان لهم فى الخارج .

المقيم : دعهم يثوروا فسنعرف كيف نكبح جماحهم ! إن علينا أن نعلمهم المعنى الصحيح للوطنية ولو بالقوة ، حتى يفهموا أن استمساكنا بحرية البلاد واستقلالها هو الذى حملنا على رفض هذه المائتى ألف جنيه ، لأننا نعتبرها ذريعة للتدخل فى شئون تونس من دول أجنبية !

لسان الوفد : لكن هنا لا يعتبرون الدول العربية من الدول الأجنبية التى تطمع فى بلادهم !

المقيم : هذا ما يجعل خطر هذه الدول العربية أشد وأعظم ، ويجعل مهمتنا فى مكافحتها وإحباط مساعيها أشق وأصعب . أواه ! متى يفهم التونسيون والجزائريون والمراكشيون أن الجامعة العربية تريد أن تبتلع بلادهم ، وتفرض عليهم نفوذها وسيطرتها ؟

لسان الوفد : ليس هذا فى الإمكان ياصاحب الفخامة ، فقد عرف المغاربة جميعاً مبادىء الجامعة العربية وجهودها لتحرير العرب والدفاع عن حقوقهم ، وأن ميثاقها يعترف لكل دولة بكيانها ، ويمنع التوسع من بعض دولها على حساب بعض ، فخير لفرنسا أن تعترف بهذه الحقيقة ، فتخطب ود الجامعة العربية ، وتحاول الاتفاق معها على ما فيه مصلحة هذه البلاد . وحبذا ياصاحب الفخامة لو كان قبول هذه المعونة أول خطوة تخطوها فرنسا فى هذا السبيل .

المقيم : كلا ، لقد قررنا رفضها وكفى . إن هؤلاء العرب قوم وقحون ،

فإنهم ما اتعظوا بالموقف الوطنى الرائع الذى وقفته حكومة تونس فى السنة الماضية إذ رفضت قبول معونتهم ، ومنعت الباخرة المصرية من الرسو بمياهها ، وأرغمتها على الانسحاب إلى مالطة . وها هم يعودون اليوم لمثل هذا العمل ولا يرتدعون . فماذا يكون حالهم معنا لو أننا اعترفنا لهم بحق التدخل فى شئون بلاد المغرب ! قوم لا تزال القوات الإنجليزية تحتل بلادهم ، وهم مع ذلك يريدون أن يستعمروا الآخرين ! . . يحاولون استعمار السودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش . . ومن يدرى لعلهم يطمعون فى فرنسا أيضاً أبعد ذلك ! حمق وجهل واستهتار بحقوق الأمم ومواثيق الدول ؟ !

لسان الوفد : لا تؤاخذنى يا صاحب الفخامة إن قلت لك إن هذه صورة للجامعة غير صحيحة ، فإذا أخذت بها فرنسا فإنها لا تضر إلا نفسها .

المقيم : إن فرنسا لا تنخدع وهى تعرف عن الجامعة كل شىء . فلدينا مكتب سرى فى قلب القاهرة يطلعنا على أسرار دول الجامعة أولا بأول . ونحن الذين قضينا على الفاشية الطاغية فى أوربا ، لن نترك هذه الفاشية العربية حتى نقضى عليها .

لسان الوفد : من الصعب يا صاحب الفخامة مقارنة الحركة العربية بالفاشية فى أوربا .

المقيم : بل هما من معدن واحد . كلتاهما نبذت الدين ، وأغرقت فى اعتناق العنصرية .

لسان الوفد : إن العرب لم ينبذوا دينهم يا صاحب الفخامة .

المقيم : بل نبذوه واطرحوه ، واعتنقوا الفاشية العربية . ألم تروا كيف تآمروا على فرنسا حتى أخرجوها من سوريا ولبنان ، لا لشىء إلا لأن فرنسا كانت حريصة على أن يحتفظ السوريون واللبنانيون

بدينهم : المسلمون بإسلامهم ، والمسيحيون بمسيحيتهم . فقد أصبحوا اليوم خليطا لا حدود بينهم ولا فوارق ، وصار الشاعر المسيحى يمدح نبي الإسلام ويشيد بمجده ودينه ، والشاعر المسلم يمدح المسيح ويمجد المسيحية . أرأيتم استهتاراً بالدين أكثر من هذا ؟ أفيريدون منا أن نسكت لهم حتى يدخلوا هذه الفاشية إلى بلاد المغرب ليقضوا على إسلامها الصحيح وتمسك أهلها بدينهم .

لسان الوفد : إنكم لشديدو الحرص على الإسلام !

المقـيم : لم لا ؟ إن الاسلام لدين معقول ، فقد أمر بطاعة أولى الأمر ، ونحن أولو الأمر فى هذه البلاد . فعلى أهلها طاعتنا بحكم دينهم . ويأتى أعداء الإسلام من عرب المشرق ليغروا المغاربة بالخروج على أولى أمرهم لينسلخوا بذلك من دينهم . كلا والله لا نمكنهم من القضاء على الإسلام فى بلاد المغرب . نحن حماة الإسلام فى هذه الديار . وسنظل نحميه فيها إلى الأبد . ولن تتكرر مأساة سوريا ولبنان !

(٢)

المقيم العام والكاتب العام ورئيس الوزارة

المقيم : ما رأيك يا مسيو كماك فى الوفد الذى جاءنى أمس ؟

الكماك : قوم لا غبار عليهم ولا يشك فى إخلاصهم وولائهم للحكومة .

الكاتب : ماذا تنتظر من الكماك أن يقول عن هؤلاء الأغبياء إلا خيراً ؟ إن ترد نصيحتى فحذار أن تثق بتونسى أبداً .

الكماك : إن صاحب الفخامة استشارنى والمستشار مؤتمن ، وله بعد ذلك أن يقبل رأيى أو رأيك .

الكاتب : أراك تنتهز كل فرصة لتظهر نفسك فى منزلة مساوية لمنزلتى !

الكماك : ما أرانى فى حاجة إلى ذلك وقد سوّى بيننا قانون المشاركة فى الحكم ولكنى أراك تنتهز كل فرصة لتظهر نفسك أعلى منزلة منى .

الكاتب : أنا أعلى منزلة منك على رغم أنفك !

المقيم : كفتا عن هذه الملاحاة فما هذا بوقتها . إن أمامنا مسألة خطيرة . يخيل إلىّ أن رفض معونة الجامعة العربية قد أثار فى نفوس الناس السخط الشديد على الحكومة ، وأن رجال الوفد كانوا على حق فيما أنذرونا به .

الكاتب : لقد أظهر الناس مثل هذا السخط فى العام الماضى ثم سكتوا .

المقيم : لكن سخطهم اليوم أشد وأعظم . . أليس كذلك يا مسيو كماك ؟

الكماك : أخشى إن قلت رأيى أن أزعج سعادة الكاتب العام !

المقيم : كلا لاتخش هنا شيئاً ، قل رأيك بصراحة تامة .

الكماك : فرأيى هو رأى فخامتك . إن سخطهم اليوم أشد وأعظم وقد يؤدى إلى انفجار .

المقيم : فماذا تقترح يامسيو كماك لتلافى هذا الخطر ؟

الكماك : المبادرة بإقامة صلاة الاستسقاء العامة . فهذه المظاهرة الدينية هى التى ستسكّن النفوس الثائرة وتقطع ألسنة الشكوى من الداخل والخارج

الكاتب : ليس عندك إلا هذا الاقتراح السخيف . تكرره فى كل مناسبة .

الكماك : اعرض أنت اقتراحك ولصاحب الفخامة أن يختار .

المقيم : يعجبنى منك يامسيو كماك فهمك للسياسة الجديدة التى شرعت فرنسا تجرى عليها .

الكماك : مقاومة القومية العربية بحجة مناصرة الإسلام !

المقيم : أجل ...

الكماك : لاتعجب ياصاحب الفخامة . فعندى نسخة من تقرير (معهد الشئون الإسلامية بباريس) الذى يوصى باتباع هذه السياسة .

الكاتب : هذا التقرير كان فى مكتبى ثم افتقدته ، فلاريب أنك أنت الذى اختلسته منى !

الكماك : لاداعى لهذا التلفيق . إن شئت أعرتك النسخة التى عندى لتطلع على هذا التقرير الهام وتكون على علم به ! ولكن إياك أن تظن أن مجرد اطلاعك عليه سيجعلك مثلى فى القدرة على تطبيقه . هل تظن أنه ذكر صلاة الاستسقاء مثلا ؟

الكاتب : لاريب أنك نقلت هذا الاقتراح منه .

المقيم : كلا ، لم يرد لهذا الاقتراح ذكر فى التقرير .

الكماك : هذا من تخريجى أنا وحسن تطبيق لقواعده ، وفهمى لروحه .

الكاتب : إننى أعترض ياصاحب الفخامة على العمل بهذا الاقتراح .

المقيم : أمن أجل كرهك للكماك ترفض اقتراحه المفيد ؟

الكاتب : كلا ياصاحب الفخامة ولكنى سألت أحد المشايخ الفقهاء عن هذه الصلاة ، فأكد لى أنها ستسبب نزول الغيث حقا وزوال القحط والمجاعة . . . وهذا مما يهدد مصلحة فرنسا ويتعارض مع سياستها العليا .

المقيم : ماتقول فى هذا يامسيوا كماك ؟

الكماك : قد يخشى هذا حقا ياصاحب الفخامة لو يؤمهم فى الصلاة رجل مسلم ولكنك أنت الذى ستصلى بهم ، فنأمن بذلك هطول المطر ، ونؤكد فى الوقت نفسه ولايتك للأمر من حيث أن ولى أمر المسلمين هو الأجدر بأن يؤمهم فى مثل هذه الصلاة .

المقيم : ما ألمع ذهنك يا مسيو كماك :

الكماك : ماهذا بعجيب ياصاحب الفخامة ، وإنما العجب هو تمكنك من حذق صلاة الاستسقاء فى مثل هذه المدة الوجيزة ، وأنت فرنسى بعيد عن هذه الشعائر الإسلامية .

المقيم : لقد بذلت جهداً كبيراً فى تعلمها ، كما لا أنسى فضل المشايخ الفقهاء الذين تولوا تعليمى وتلقينى .

الـكعاك : إنى أراهن على أن سعادة الـكاتب العام لو حاول آن يتعلم صلاة الاستسقاء لاحتاج فى ذلك إلى أعوام !

الـكاتب : أمسك لسانك عنى يالـكعع ، وإلا ...

المقيم : لاشجار عندى ولاخصام .

(٣)

غرفة فى مبنى حكومى صغير خارج المدينة ، تطل شبابيكها على الخلاء الواسع الذى أقيمت فيه صلاة الاستسقاء .

(يدخل المقيم والكاتب والـكعاك وهم ينفضون بلل المطر عن ثيابهم)

المقيم : ويلك يا كعاك . . . لقد نزل الغيث حقا !

الـكعاك : (متضاحكا) هذا ذنبك يا صاحب الفخامة ، إذ أديت الصلاة بخشوع عظيم ، فلا غرو أن يهطل المطر .

المقيم : إنى أراك تضحك ... ليس هذا أوان الضحك ولا موضعه !

الكاتب : قد أنذرتك يا صاحب الفخامة ألا تتبع مشورة هذا الأحمق ، فما أطعتنى حتى وقع هذا المحذور .

المقيم : ألم تؤكد لى يا كعاك أن المطر لن ينزل ؟

الـكعاك : كنت على ثقة بأنك غير مسلم ، وغير متوضىء ، فلا يمكن أن يستجيب الله دعاءك .

المقيم : فها هو ذا المطر قد نزل مدراراً ، فماذا تقول ؟

الـكعاك : لعلك أسلمت يا صاحب الفخامة !

المقيم : اخرس !

الـكعاك : ولو سراً يا صاحب الفخامة !

المقيم : لا سراً ولا جهراً .. حذار أن تقول مثل هذا أمام الناس !

الـكعاك : لا بد أنك أسلمت من حيث لا تدرى !

المقيم : من حيث لا أدرى ؟ كيف ؟

الكعاك : جائز أن طيف الإسلام جاء إليك فاعتنقته وأنت نائم !

المقيم : ماذا تقول ويلك ؟

الكاتب : يا صاحب الفخامة إنه يعمد إلى هذه التخريجات السوفسطائية بغية التنصل من تبعته . لقد كان يعلم أن المطر سينزل بهذه الطقوس السحرية التى يزاولها المسلمون ، فدعانا إلى إقامتها ليخضر هذا الوادى الجاف ، فترعى فيه مواشى البدو وأغنامهم فتخف عنهم المجاعة . هذه هى المؤامرة التى دبرها هذا التونسى الخائن !

الكعاك : أحلف لك بالله يا صاحب الفخامة إنى ما دبرتها ، وما كانت منى فى تقدير . ونحن على كل حال قد حققنا بهذه الصلاة العامة غرضا من أغراضنا ، وهو الدعاية الطيبة لفرنسا فى الداخل والخارج .

المقيم : ولكن هذا الغيث سيعطل ركنا هاما من أركان سياستنا العليا ، ألا وهو إجاعة هؤلاء البدو لاستئصال شأفتهم حتى ينقرضوا كما انقرضت الزواحف فى عصور ما قبل التاريخ !

الكاتب : لقد قصد الكعاك خدمة هؤلاء الأعراب من قومه على حساب فرنسا ، فهو خائن لفرنسا ، ويجب عزله من الوزارة !

الكعاك : لست بمجنون فأوثر خدمة هؤلاء الأجلاف على خدمة مولاتى فرنسا العظيمة .

الكاتب : دعنا من هذا الملق ، فقد شبعنا منه .

المقيم : إن أردت الخلاص يا كعاك ، ففكر لنا فى مخرج من هذا المأزق .

الكعاك : إذا نفذ القضاء على رغم إرادتنا ، واعشوشب الوادى ، فإنى أقترح أن تعلن الحكومة جعل هذا الوادى حمى لها حراما على غيرها ، فترسل ماشيتها وخنازيرها لترعى فيه . وهكذا تستفيد الحكومة دون أن تخاف على مجاعة البدو شيئا .

المقيم : هذا اقتراح لابأس به ، ولكن يصعب تنفيذه .

الكاتب : بل يستحيل تنفيذه ياصاحب الفخامة . فمن ذا يستطيع أن يحرس الوادى الواسع ويمنع البدو من الرعى فى أطرافه ؟ إننى أتهم الكعاك بخيانة فرنسا ، وأطالب بعزله من الوزارة !

المقيم : لا سبيل إلى هذا إلا إذا ثبت أنه تعمد هذه الخطة .

الكعاك : أقسم بالله إنى ما تعمدتها ياصاحب الفخامة ، وانى لأشد الناس إخلاصاً لفرنسا !

المقيم : قد كان عليك أن تحتاط حتى لا يقع مثل هذا المحذور .

الكعاك : إنى فى الواقع غير مسئول عما وقع ياصاحب الفخامة .

المقيم : فمن المسئول ؟

الكعاك : أنت ياصاحب الفخامة ، وهذه البهائم التى تراها فى هذا الخلاء !

الكاتب : ويلك ياوقح ! أتقرن صاحب الفخامة بالبهائم ؟

الكعاك : نعم ، لأنهما اقترنا فى هذا السبيل . . . كلاهما مسئول عما وقع اليوم

الكاتب : هل تسمع ياصاحب الفخامة ما يقول ؟

المقيم : على الكعاك أن يفسر لنا هذه التقليعة . .

الكعاك : أنت مسؤول ياسيدى لأنك صليت صلاة لا يستطيع شيوخ المسلمين أنفسهم أن يؤدوا مثلها ! وهذه البهائم تشاركك فى المسئولية لأنها هى التى استدرت عطف السماء ورحمتها بما ظهرت به من الضعف والهزال البالغين ! ولا أدرى كيف لم أفطن إلى هذه الحقيقة من قبل . . . إذن لأمرت بنتيجة هذه المناظر المؤلمة فى وقت الصلاة .

الكاتب : إياك ياصاحب الفخامة أن تنخدع بأعذاره هذه التى يختلقها اختلاقا . . انه قد تسبب عمداً فى إنزال المطر خيانة لفرنسا ، وكيدا لها ، فيجب عزله وعقابه !

المقيم : إن المطر يشتد يا كعاك ، وإن جرمك ليتعاظم معه .

الكعاك : هل تعفو عنى إذا انقطع الساعة هذا المطر ؟

الكاتب : أبعد أن شرب الوادى وقضى الأمر ؟ . .

المقيم : لا بأس . . . سنعفو عنه إذا أوقف المطر الساعة .

الكاتب : لعنة الله على هؤلاء السحرة ! . .

الكعاك : (يتصفح كتابا فى يده) ويلى ! . . كيف غاب عنى أن الإسلام قد جعل لكل شدة فرجا ومن كل ضيق مخرجا ؟ ! . .

المقيم : ما هذا الكتاب الذى فى يدك ؟ . .

الكعاك : مختصر خليل فى الفقه . . ها أنذا قد وجدت حل المشكلة ! . سينقطع المطر الساعة حالا ! . .

المقيم : كيف ؟ . .

الكاتب : قد قلت لك إنهم سحرة ! . .

الكعاك : لقد اهتديت إلى الدعاء الذى يقطع المطر عن جهتنا ، ويصرفه إلى جهات أخرى ، فقولا معى : « اللهم حوالينا ولا علينا ! »

المقيم والكاتب : اللهم . . .

الكعاك : اللهم حوالينا . . ولا علينا . . . اللهم حوالينا ولا علينا ! . .

الاثنان : اللهم حوالينا ولا علينا !

الكعاك : أجل هكذا ، دعونا الآن نأمر الناس أن يرددوا معنا هذا الدعاء .

(يطل الثلاثة من شبابيك الغرفة)

الثلاثة : « يصيحون » : أيها الناس رددوا معنا هذا الدعاء : اللهم حوالينا ولا علينا ! . .

صوت : (يرتفع من أعماق الوادى) : أيها الناس ! . ان هؤلاء الفرنسيين يريدون أن يمنعوا رحمة الله عنكم ، فخالفوهم فى الدعاء ، وقولوا بصوت واحد : اللهم علينا لا حوالينا ! . .

جموع الأهالى : اللهم علينا لا حوالينا ! ! . .

الصوت : هذه فرنسا قد سلّطت عليكم مجاعة الأرض ، وتريد أن تمنعكم من رحمة السماء ،فالعنوها وادعوا عليها في هذه الساعة المستجاب فيها الدعاء !.

الجموع : (يرددون) : اهلك فرنسا يارب ! . . صب العذاب يارب ! . . على فرنسا يارب ! . .

الكاتب : أرأيت ياصاحب الفخامة كيف أوقعنا الكعاك فى هذه الورطة !.. كيف أثار علينا هؤلاء الغوغاء ؟ . .

الجموع : أهلك فرنسا يارب ! صبّ العذاب يارب على فرنسا يارب !..

القيم : ماهذا يا كعاك ؟ ..

الكعاك : سبحان الله !.. هل أمرتهم أنا بذلك ؟ .. لقد أردت أن أقطع المطر بهذه الدعوة النبوية ولكنهم أبوا أن يدعوا بها ودعوا بنقيضها . فماذا أصنع ؟ .

الكاتب : إنهم لم يدعوا بنقيضها فحسب ، بل جعلوا يلعنون فرنسا ويدعون عليها بالعذاب والهلاك ؟ .. كل هذا كان بتدبيرك ! .

الجموع : أهلك فرنسا يارب ! .. صب العذاب يارب على فرنسا يارب !

صوت آخر: (يرتفع) : ويلكم أيها المسلمون ! .. هل يهلك الله فرنسا إلا بسواعدكم ! أتنتظرون أن يرسل الله إليكم جنوداً من السماء لتنقذكم ؟ .. هاهى ذى فرنسا بغيها وفجورها ممثلة فى هؤلاء الثلاثة المعتصمين من رحمة الله فى ذلك الحصن ، فدونكم فاقتلوهم ! ..

أصوات الجموع : اقتلوا الثلاثة !

الكاتب : هل سمعت ياصاحب الفخامة كيف ينادون بقتلنا .. إن حياتنا الآن فى خطر ... كل هذا من الكعاك ! ..

الكعاك : منى أنا ؟

القيم : أجل .. مامن شىء تقترحه إلا جاءنا بشر !

الكعاك : إنهم لايريدون قطع المطر عنهم .. ودعاؤنا هو الذى أغضبهم ، فان أذنت لى ياصاحب الفخامة دعوت مثل دعائهم فربما تهدأ ثائرتهم !

القيم : اتستشيرنى فى مثل هذا الموقف الحرج ؟ افعل ماتشاء . أنقذنا من هذا الخطر بأى سبيل !

الكعاك : (يصيح مطلا من الشباك) : إخوانى ! يامعشر المسلمين ! كان فخامة القيم العام قد أشفق عليكم من شدة المطر وخشى أن يغرقكم السيل ، فأمرنا أن ندعو ذلك الدعاء لرفع هذا البلاء . أما إذا أبيتم إلا الاستزادة من المطر فنحن الثلاثة مستعدون لندعو بمثل ماتدعون اللهم علينا لاحوالينا !

القيم : (يصيح مطلا) اللهم علينا لاحوالينا !

الكاتب : (مثله) : اللهم علينا لاحوالينا !

(تتهاوى الحجارة على الشبابيك فينسحب الثلاثة إلى الداخل)

القيم : إنهم يرجموننا بالحجارة .

الكاتب : لافائدة من محاولة إيقافهم ... إنهم ينوون بنا الشر .

القيم : لعنة الله عليك يا كعاك لقد أضعت هيبتنا عند هؤلاء الغوغاء !

الكاتب : دعنا نهرب ياصاحب الفخامة قبل أن تضيع حياتنا أيضاً .

القيم : أجل إنهم سيهجمون علينا فلننزل إلى جيادنا قبل أن يستولوا عليها .

الجموع : (تهتف من بعيد) اقتلوا الكلبين الفرنسيين ! اقتلوا الكلب التونسى !

الكاتب : اسمع يا كعاك ! حتى هولاء الغوغاء لاينسون الفرق بيننا وبينك . عندهم والله ذوق !

الكعاك : عجبا لك . هل يختلف عندك كلب عن كلب ؟

الكاتب : طبعا . كلاب فرنسا غير كلاب تونس !

الجموع : (تهتف من بعيد) اقتلوا الكلاب الثلاثة ! الموت للكلاب الثلاثة !

الكعاك : هاهم قد سوّوا بيننا الآن :

الكاتب : جهلة ! أغبياء ! أجلاف !

الكعاك : بل يعلمون أن الكلاب كلها ترجع إلى قطمير .

الكاتب : ماذا تعنى بقطمير ؟

الكعاك : قطمير هو جدك الأعلى . . أول كلب ظهر على البسيطة !

الكاتب : (يأخذ بتلابيبه غاضباً) أبهذا اللعين . . ؟

الكعاك : لا تغضب . . هو جدى أيضا وجد كل كلب فى العالم !

الكاتب : كلا . . محال أن يكون جدى هو جدك

الكعاك . بل جدى هو جدك . . إن كنا كلابا كما يزعم هؤلاء الغوغاء فجدنا قطمير ، وإن كنا بشراً كما نزعم لأنفسنا فجدنا آدم .

القيم : لعنة الله عليكما . . أفى مثل هذه الساعة تتلاحيان ؟ هيا بنا إلى الجياد !

الكاتب : أجل . قبل أن يستولوا عليها .

الكعاك : فلا يبقى لنا مفر .

(يتوجه الثلاثة نحو الباب ليخرجوا)

الجموع : (تدنو أصواتها) الموت للكلاب الثلاثة !

الكعاك : (للكاتب) اسمع !

الكاتب : (فى غضب) اخرس !

(يخرج الثلاثة منطلقين)

« ستار »

المقراض

(فى مكتب الرئيس بالقصر الأبيض)

السكرتيرة : إنه يعلم يا سيدى أنك فى مكتبك .

الرئيس : فقولى له إذن إنى متوعك وقولى له أيضا إنه هو الذى أعدانى بزكامه لما جاءنى منذ يومين فهل يريد أن يعدينى اليوم بفقره وإفلاسه ؟

السكرتيرة : لكن يا سيدى . . . .

الرئيس : قولى له ذلك ولا تخافى فإن هذا السفير البريطانى صفيق ولا يحس !

السكرتيرة : إنه يقول إن الأمر خطير .

الرئيس : خطير ... هل عرضت امبراطوريتهم فى المزاد الدولى ؟ أم هل أكلت تماسيح النيل جنودهم فى القنال ؟

السكرتيرة : لا ينبغى ذلك يا سيدى ... إنه رجل مهذب ...

الرئيس : هيه يا سكرتيرتى الصغيرة ... لعلك أعجبك هندامه فخطر لك أن تأخذى بالثأر من امرأة المستر ايدن التى سرقت رجلا أمريكيا ونبذت زوجها الأنيق ؟

السكرتيرة : (محتجة) ما هذا يا سيدى ؟

الرئيس : يا حمقاء إن صاحبنا الأمريكى الذى سرقته امرأة وزير خارجيتهم رجل مليونير ... أما سفيرهم هذا فإنه لا يساوى بكل ملابسه ونظاراته وبيبته خمسمائة دولار حتى ولو صنعنا من المواد التى فى جسمه صابونا مثلا كما كان هتلر ...

(يخنقه البكاء عن إتمام كلامه)

السكرتيرة : يا ويلتا ... إنك لتبكى يا سيدى الرئيس ... ماذا يبكيك ؟

الرئيس : ويلك ألا تعرفين ماذا أبكانى ؟ حزنى على أولئك السادات الذين صنع هتلر من زيوت أجسامهم صابونا ... هيّا اخرجى فقولى لهذا السفير البريطانى ما أمرتك .

السكرتيرة : سمعا يا سيدى (تخرج) .

الرئيس : (يتمتم محدثا نفسه) أبكى ... علام أبكى عليهم ؟ ما أشد حمقى ! وددت لو أن الملعون هتلر قد تخلص منهم جميعاً ... إذن لخف ظهرى من ثقل الأفضال التى يمنّون بها علىّ !

(تعود السكرتيرة)

الرئيس : هل طردت السفير ؟

السكرتيرة : كلا يا سيدى . .

الرئيس : ويلك لِمَ لم تفعلى ما أمرتك ؟

السكرتيرة : وجدت معه سفير اسرائيل يستأذن أيضاً لمقابلتك

الرئيس : سفير اسرائيل ! انطلقى فائذنى له !

السكرتيرة : وسفير انجلترا هل آذن له أيضاً ؟

الرئيس : اتركيه أولا حتى نفرغ من استقبال سفير اسرائيل !

(تخرج السكرتيرة ثم تعود ومعها السفيران اليهودى والانجليزى)

الرئيس : مرحبا مرحبا بسفير اسرائيل ! بعد . . أنتما اثنان وإنما أذنت لواحـــد فقط . . هل لك يا مستر جونبول أن تنتظرنى فى بهو الاستقبال حتى أفرغ من مقابلة المستر كوهين لعله يريد أن يحادثنى على انفراد ؟

اليهودى : كلا يا سيدى الرئيس . . إن الأمر بينى وبين ســعادة السفير البريطانى مشترك .

الرئيس : مرحباً بكما إذن . . تفضلا .

الانجليزى : (يمد يده ليصافح الرئيس) ألا تصافحنى أنا أيضا ياسيدى الرئيس؟
الرئيس : لا داعى للمصافحة يا مستر جونبول فقد أعديتنى بزكامك لما جئتنى منذ يومين .
الإنجليزى : يؤسفنى ذلك يا سيدى الرئيس .
الرئيس : ماذا ينفع الأسف الآن ؟ تفضل . . اجلس .
اليهودى : ألم تأت المسز روزفلت بعد ؟
الرئيس : المسز روزفلت . . دائما يا مستر كوهين تسأل عن المسز روزفلت ! ما شأنها اليوم بيننا ؟ لقد أخذت كل حوائجها من البيت الأبيض يوم غادره زوجها المر . . . إلى غير رجعة !
اليهودى : (فى تهديد مستتر) تذكر يا سيدى أن لها مكانة فى نفوس قومنا وأننا قد نستغنى عن خدمات غيرها ولكنا لن نستغنى عن خدماتها ابداً !
الرئيس : معذرة ياسيدى . . انس ما قلته فى حقها وهبه كأن لم يكن .
السكرتيرة : (تظهر على الباب) المسز روزفلت يا سيدى .
الرئيس : أخرجيها حالاً !
السكرتيرة : (متعجبة) أخرجها ؟ !
الرئيس : أيتها السكرتيرة البليدة . . أخرجيها من بهو الانتظار وأدخليها هنا حالاً !
السكرتيرة : تفضلى يا مسز روزفلت ! (تدخل المسز روزفلت)
الرئيس : أهلاً بربة البيت الأبيض سابقاً ! !
هى : ياسيدى الرئيس إن الذين فى أيديهم أن يقرروا « سابقاً أولاحقاً » هم جماعة هذا السفير الاسرائيلى الكريم !
الرئيس : أوه . . لقد زل لسانى مرة أخرى . . تفضلى يامسز صهيون . . تفضلى!
هى : (غاضبة) ماذا تقول ؟

الرئيس : لا تغضبي .. لقد ظننت أن هذا لقب تشريف لك .

هي : أجل إنه للقب تشريف ،ولكني لا أدعى هكذا في الناس .

الرئيس : إذا أبيت إلا التواضع يا سيدتي فسأدعوك مسز روزفلت ... تفضلي يا مسز روزفلت !

اليهودي : تعالى يا سيدتي اجلسي هنا بيني وبين المستر جونبول

هي : شكراً يا مستر كوهين

(يتهامس الثلاثة)

الرئيس : عجبا ... إنكم تتهامسون أنتم الثلاثة ... كأنكم كنتم على ميعاد لتقابلوني ؟

اليهودي : نعم

الرئيس : ترى ماذا حدث في الدنيا وأنا لا أعلم ؟

اليهودي : المقراض ياسيدي ... المقراض !

الرئيس : المقراض ؟

الإنجليزي: نعم ياسيدي الرئيس ... المقراض .

هي : المقراض الذي سيقطع رقابنا جميعاً !

الرئيس : رقابنا نحن الأربعة ؟

هي : (متأففة) أوه ! هذه كناية .

الرئيس : أفصحوا بحق السماء ... إني لا أحب الكنايات ولا أفهمها

اليهودي : لقد قُضي على أمل الإنجليز في التفاهم مع إيران إلى الأبد

الرئيس : أهذا كل ما هناك ؟ ويلكم لقد روعتموني ! سامحك الله يا مسز صم ... عفواً يامسز روزفلت . إنك تبالغين كعادتك ... هلا قلت : رقبة انجلترا بدلا من قولك : رقابنا جميعاً ؟

هي : بل رقابنا جميعا ... رقبة أميركا أولا .

الإنجليزي: ورقبة اسرائيل أيضاً ياسيدي الرئيس !

الرئيس : ياللداهية ! الأمر إذن أخطر مما تصورت .. لكنكم لم تبينوا لى ما هذا المقراض وأين هو ؟ فى الشرق أم فى الغرب ؟

هى : فى الشرق !

الرئيس : ها قد فهمت ما تقصدون ... هذا المقراض فى يد ستالين ... هه ؟

هى : كلا !

الرئيس : فى يد صاحبه زعيم الصين ؟

هى : كلا !

الرئيس : ففى يد من إذن ؟ أفصحوا ... لقد كدت أجن !

اليهودى : فى يد مصطفى النحاس باشا والدكتور مصدق !

الرئيس : النحاس باشا والدكتور مصدق .. هناك مقراضان إذن ؟

هى : كلا بل مقراض واحد .

الرئيس : ويلكم أتريدون أن تغالطونى فى أبسط قواعد الحساب ؟ ... النحاس باشا واحد والدكتور مصدق واحد . واحد زائد واحد يساوى اثنين !

هى : (متأففة) أوه ! !

اليهودى : تولَّ أنت الكلام يا مستر جونبول لعلك تستطيع أن تفهم الرئيس !

الرئيس : ترى هل جاء هذا الأفاق الذى اسمه أينشتين بتقليعة جديدة فغيّر بها قواعد الحساب المعروفة ؟

هى : كف لسانك عن هذا العبقرى فإنه من الشعب المختار !

الرئيس : معذرةً ... لقد غاب ذلك عن بالى ... ماذا أصنع ؟ أنتم الذين أحدثتم فى عقلى هذه البلبلة !

الإنجليزى: أصغ إلىّ يا سيدى الرئيس ...

الرئيس : أجل أدركنى يا مستر جونبول ... اشرح لى !

الإنجليزى: ليس الجمع هو الذى وقع بل الضرب ...

الرئيس : الضرب على رأس مَن ؟

هى : (نافدة الصبر) اوه ! على رؤوسنا جميعاً !

الانجليزى: أعنى الضرب الحسابى ياسيدى الرئيس . . واحد مضروب فى واحد فكم الناتج ؟

الرئيس : واحد طبعا . . لكن من الذى ضرب أحدهما فى الآخر ؟

هى : اوه ! !

اليهودى : دعيه ياسيدتى . . سيتولى المستر جونبول إفهامه !

الرئيس : أدركنى يامستر جونبول . . من الذى ضرب أحدهما فى الآخر ؟

الانجليزى: أنت ياسيدى الرئيس .

الرئيس : أنا ؟

الانجليزى: نعم أنت

الرئيس : هذا محال يامستر جونبول . . فى وسعى أن أثبت للعالم أجمع أننى ما قابلت النحاس باشا فى حياتى قط ولا رأيته !

هى : أوه ! !

الرئيس : (ينفجر غضبا) أوه ! أوه !. فى كل كلمة أقولها تقولين : أوه أوه !!

اليهودى : هدىء من غضبك ياسيدى الرئيس . . دعيه يا سيدتى . . . المستر جونبول سيتولى إفهامه !

الرئيس : أدركنى يا مستر جونبول ويلك ... وإلا قمت من عندكم وتركتكم ؟ أى يوم هذا فى الأيام ؟ لا شك أنه يوم نحس !

الانجليزى: أصغ إلى ياسيدى الرئيس . . . ألم يكن الدكتور مصدق عندكم منذ أيام ؟

الرئيس : الدكتور مصدق . . نعم . لكن النحاس باشا ... لا !

الانجليزى: حسناً ... والتمس منكم قرضا لبلاده ؟

الرئيس : نعم .

الانجليزى: جعلت أنت تماطله حتى غضب .

الرئيس : جعلت أماطله من أجلكم أنتم لأظفر منه بشروط لمصلحة بلادك أنت!

هى : فقد طار الآن إلى مصر !

الرئيس : وما ذنبى فى ذلك ؟ هل كان فى مقدورى أن أمنعه عن الرحيل حتى لو أراد الرحيل إلى الكرملين ؟

اليهودى : ياليته طار إلى الكرملين ! إذن لكان الخطب أهون !

الرئيس : ماذا تقول يامستر كوهين ؟ ويلكم ... ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟

هى : كل هذا من سوء تصرفك ... آه لو كان زوجى حيا !

الرئيس : (محتــداً) دعينى من حديث زوجك ... أنا صاحب القصر الأبيض اليوم !

اليهودى : لا تختصما هكذا . . إن الخطر الذى يتهددنا جميعا لأعظم من أن نتخاصم فيه .

الرئيس : إنى والله ما أدرى هـذا الخطر الذى تتحدثون عنه . . ألا تخبرونى ما هو .

هى : (متشفية) أحقرُ مواطن أمريكى ولو كان من الزنوج السود يستطيع أن يدرك الخطر من زيارة الدكتور مصدق لمصر فى هذه الظروف الحرجة !

الرئيس : ومن قال لك إنى لا أدرك هذا الخطر ؟ ألم تعلمى أنى قد كلفت سفيرنا فى إيران بأن يرفع إلى جلالة الشاه عدم ارتياحنا لتلك الزيارة

هى : وهل أجدى ذلك شيئا ؟

الرئيس : ما ذنبى أنا فى ذلك ؟

هى : ألم تعرف بعد ما ذنبك ؟ ماطلته فى القرض حتى يئس وغضب !

الرئيس : هذا ليس ذنبى .

هى : ذنب من إذن ؟

الرئيس : (ثائرا مهتاجا) ذنب هذه الدولة التى نرقع فيها دون جدوى ! . . هذه الدولة التى صارت عبأ على ظهورنا لا يطاق . . هذه الدولة التى تريد منا دائماً أن نطعم رجالها ونساءها وأطفالها من مالنا ونكسوهم وننفق على مساكنهم ومصانعهم وملاهيهم ! هذه الدولة التى أصبحت شبحاً لا حقيقة له وهى لا تزال تسمى نفسها « بريطانيا العظمى » !

الانجليزى: (يتضاحك) سامحك الله يا سيدى الرئيس . . .

الرئيس : وتضحك أيضا يا مستر جونبول ؟ !

الانجليزى: ماذا أصنع ؟ شرُّ البلية ما يضحك . . لو أنك راجعت نفسك قليلا لتذكرتَ يا سيدى أننا لا ذنب لنا فى مسألة القرض الذى طلبته إيران منكم .

الرئيس : ويلك ألم ترفع إلينا رجاء حكومتك أن ننظر بعين الاعتبار إلى مصالحكم فى إيران ؟ أتنكر اليوم ذلك ؟

الانجليزى: كلا يا سيدى ولكنا لم نطلب مماطلتكم للدكتور مصدق ، بل طلبنا منكم التعجيل له بعقد القرض مع اشتراط ما يحفظ لنا بعض المصالح فى إيران مما يمكن التفاهم معها عليه .

هى : ولكنك ماطلت وسوّفت واحتجبت عن لقاء هذا الزعيم الخطير حتى طار من يدك ؟

الرئيس : أو يهمك يا مسز روزفلت صالح بريطانيا العظمى إلى هذا الحد ؟ ألعلك تفعلين ذلك من أجل الصداقة التى كانت بين المرحوم زوجك والمرحوم الآخر الذى اسمه تشرشل !

هى : كفى سخرية ! مصلحة بلادى هى التى تهمنى . . مصلحة الولايات المتحدة التى أنت اليوم رئيسها !

الرئيس : لكنا لم نفقد شيئاً بعد

هى : بل فقدنا كل شىء . . فقدنا الأرباح التى كانت ستعود على بلادنا من ذلك القرض الذى لم يتم .

الرئيس : لكن ما ذنبى أنا فى ذلك ؟

هى : سياسة المماطلة التى اتبعتها مع الدكتور مصدق . . . هـذا ذنبك ألم تفهم بعد ؟

اليهودى : رويدك يا سيدتى . . لا داعى الآن للوم الرئيس على ما قد فات . وعلينا أن نفكر جميعاً فيما يمكن تلافيه .

هى : كلا يا مستر كوهين . . لا بد من إثارة هذه المسألة فى الكونجرس !

اليهودى : لا داعى ياسيدتى إلى ذلك .

هى : بل لا بد من ذلك . إن دستورنا لم يخوّل رئيس جمهوريتنا السلطات الواسعة إلا ليحسن استعمالها فى رعاية مصالح البلاد على الوجه الأتم وبأقصى السرعة الممكنة ، لا ليضيع بها مصالح البلاد ويفوت علينا المنافع والأرباح !

الرئيس : اسمعى يا مسز روزفلت وافهمى ما أقول . إنك لن تجرئى أن تثيرى هذه المسألة فى الكونجرس .

هى : ماذا يعنى من ذلك ؟ لست امرأة فرانكلين روزفلت إن لم أفعل !

الرئيس : لقد تبرأت إذن من روزفلت فانظرى إلى من تنتسبين ؟

هى : سوف نرى !

الرئيس : أتريدين أن تعرفى السبب ؟

هى : نعم أريد أن أعرف هذا السبب

الرئيس : حكومة اسرائيل هى التى أوعزت إلينا أن نماطل الدكتور مصدق حتى يدرك — وهو الذكى الألمعى — أن سبيله إلى تحقيق هذا القرض هو أن تعود حكومة بلاده إلى الاعتراف باسرائيل وإنشاء روابط المودة معها كما تفعل جارتهم تركيا .

هى : كلا . . لو كان هذا حقاً لبلغنى ذلك فان ساسة إسرائيل لا يخفون عنى شيئاً .

الرئيس : فقد أخفوا عنك هذا الأمر فى هذه المرة . . اعلمى يا مسز روزفلت وليعلم صاحبك المستر تشرشل أنه بعد ما نفق ذلك الإفريقى الذى اسمه سمطس لم يعد فى الدنيا أحد يسامينى فى المنزلة عند هؤلاء القوم

هى : أصحيح يا مستر كوهين ما زعمه الرئيس أن حكومتك هى التى أوعزت بالمماطلة ؟

اليهودى : نعم يا سيدتى قد كان ذلك مع الأسف .

هى : (تنهض غاضبة) فاعتمدوا إذن بعد اليوم على غيرى !

اليهودى : إلى أين يا سيدتى ؟ ألا تبقين هنا حتى ننتفع برأيك ومشورتك ؟

هى : كلا لم يعد لى فى هذا المجلس مكان ! (تخرج)

الرئيس : دعها تخرج . . أى رأى عندها وأى مشورة ؟ ما للمرأة وللسياسة ؟ للمرأة أن تحترف الغناء مثلا إذا كان صوتها عذبا كصوت ابنتى مرجريت ، أو التمثيل على الشاشة البيضاء . أما التردد على البيت الأبيض والتداخل فى شؤن صاحب البيت الأبيض فالزنوج السود أحق منها بذلك !

الانجليزى : بل ليتها بقيت معنا يا سيدى الرئيس لعلها تشير علينا برأى نافع

الرئيس : رأى نافع فماذا يا مستر جونبول ؟

الإنجليزى : فى هذه المشكلة

الرئيس : أى مشكلة ؟

اليهودى : مشكلة المقراض .

الرئيس : المقراض ... ويلكم ماهو هـذا المقراض الذى ظللتم تتحدثون عنه دون أن تبينوا لى حقيقته ؟

الإنجليزى: أجل لقد تشعب بنا الحديث يميناً وشمالا دون أن نشرح للرئيس حقيقة هذا القراض .

الرئيس : (منفعلا) حذار الآن أن ينطق أحدكما بكلمة واحدة قبل أن تشرحوا لى هذا القراض . (بصوت عال) ماهو القراض ؟ !

اليهودى : مشروع القرض المصرى الذى اتفق عليه الدكتور مصدق مع النحاس باشا لتسد به الحكومة الإيرانية حاجتها إلى المال لاستئناف العمل فى إنتاج بترولها وإدارة معامل تكريره .

الرئيس : ماذا تقولان ؟ من أين بلغكما هذا النبأ ؟

الإنجليزى: من قلم استخباراتنا فى مصر .

الرئيس : هذا لا شك خبر كاذب . لم يعد لقلم استخباراتكم قيمة بعد ماجازت عليه حيلة النحاس باشا فأعلن إلغاء المعاهدة وهذا القلم نائم لا يدرى شيئاً .

اليهودى : كلا يا سيدى الرئيس فقد تلقينا نحن أيضاً هذا الخبر من جواسيسنا فى مصر !

الرئيس : يا للداهية ! لكن لا تخافا . . من أين للحكومة المصرية أن تقرض القروض وهى نفسها فى حاجة إلى القروض ؟

الإنجليزى: إنه قرض وطنى يا سيدى الرئيس ستطرح أسهمه على الشعب .

الرئيس : أو تظنان أن الشعب المصرى سيقبل على شراء أسهمه ؟

اليهودى : لم لا يا سيدى ؟ إنه سيفيد مصر اقتصادياً إذ سيمتص كثيراً من تضخمها النقدى ، ويساعد أغنياءها على تشغيل أموالهم المعطلة فى البنوك والمصارف ، كما يساعد عامة الشعب على التوفير والادخار .

الإنجليزى: ثم لا تنس يا سيدى هذه الآونة بالذات إذ بلغت حماستهم الوطنية درجة الغليان .

اليهودى : أضف إلى ذلك أن الحكومتين معاً تضمنان هذا القرض .

الرئيس : لكن كم مبلغ هذا القرض ؟

الانجليزى: لا ندرى على التحقيق كم مبلغه .

الرئيس : لن يتجاوز مليونين أو ثلاثة على أى حال ، فماذا يصنع هذا القرض لإيران وهى فى حاجة إلى مائة وعشرين مليون دولار ؟

الانجليزى: هذا صحيح ولكن وجه الخطورة فى هذا المشروع أنه قد يكون فاتحة لمشروعات مماثلة فى البلاد الإسلامية الأخرى ، فقد بلغنا أن المصريين سيقومون بدعاية فى باكستان وأفغانستان والعراق والمملكة العربية السعودية لتساهم بدورها فى هذا القرض .

الرئيس : يا لليوم الأسود . هل تدريان ما معنى هذا إن نجح ؟

الانجليزى: معناه القضاء على سلطان الدولار فى رقعة كبيرة من العالم

اليهودى : بل ربما فى العالم كله بعد ذلك .

الانجليزى : أجل ستعقد قروض مثل هذا بين بعض الدول الإسلامية وبعض من الدار البيضاء غرباً إلى أندونيسيا شرقاً كلما احتاجت إحداهن إلى القيام بمشروع لاستثمار مواردها التى لا تنضب . ثم قد تعقد القروض بعد ذلك بين هذه الدول الإسلامية وبين سائر الدول الشرقية كالهند وبورما والحبشة وربما الصين بعد ذلك واليابان والفيلبين .

الرئيس : (فزعاً) اسكت ! لقد روعتنى . لقد كدت أجن . هذا خطر أعظم من خطر الروس .

اليهودى : بل أعظم من خطر ألمانيا الهتلرية . تصور يا سيدى الرئيس ماذا يكون مصير اسرائيل يومئذ . اسرائيل التى أنفقتم فى إنشائها الأموال وعقدتم عليها الآمال ؟

الرئيس : أجل . ماذا يكون مصير اسرائيل ؟ أستطيع أن أتصور زوال بريطانيا من الوجود بل أوربا كلها بل حتى الولايات المتحدة ، ولكن الهلع يقتلنى إذا تصورت زوال اسرائيل !

اليهودى : مرحى يا سيدى الرئيس ! مرحى يا سيد حكماء الأرض !

الرئيس : سجّل كلمتنا هذه وبلغها لحكومتكم ولجميع هيآتكم فى العالم .

اليهودى : سأفعل يا سيدى الرئيس . . إنها كلمة عظيمة لا يستطيع أن يقولها إلا عظيم مثلك !

الرئيس : ويلكما . . لا بد من العمل السريع .

الانجليزى : أجل . . إننا ما اقتحمنا عليك البيت الأبيض على غير موعد سابق إلا لنحثك على العمل السريع لتلافى هذا الخطر الداهم .

الرئيس : أين سكرتيرتى ؟ مس آلن ! مس آلن !

السكرتيرة : (تدخل) نعم يا سيدى الرئيس .

الرئيس : اتصلى بجميع مستشارينا ليحضروا حالا .

السكرتيرة : المستشارين الرسميين يا سيدى ؟

الرئيس : الرسميين وغير الرسميين . . ابدأى أولا بغير الرسميين . . ابدأى بالمستر باروخ والمستر مورجنتاو وسائر العصبة !
هيا . هيا أسرعى

السكرتيرة : حالا يا سيدى حالا . (تخرج) .

الرئيس : وأنتما أليس عندكما ما تشيران به علىّ ريثما يحضر هؤلاء ؟

اليهودى : أن تتصلوا بأسرع ما يمكن بالدكتور مصدق فى مصر قبل أن يبرحها إلى بلاده .

الانجليزى : وتعرضوا عليه ما يشاء من القرض بكل سخاء حتى يعدل عن ذلك المشروع الخطير .

الرئيس : أجل سنقرض إيران أى مبلغ تريده ولو استغرق كل الاعتمادات التى خصصت للنقطة الرابعة !

اليهودى : أجل هذا عين الصواب يجب تدارك هذا الأمر بأى ثمن .

الرئيس : سنعطيها القرض بدون قيد ولا شرط .

الانجليزى : نعم . نعم . . لكن لا بأس يا سيدى الرئيس أن تشترطوا عليها التفاهم معنا لضمان بعض مصالحنا هناك .

الرئيس : كلا . . لتذهب مصالحكم إلى الجحيم . . سنعطيها القرض بدون قيد ولا شرط .

اليهودى : صدقت ياسيدى . . بدون قيد ولا شرط . . اللهم إلا أن تلتمسوا منها أن تعود إلى الاعتراف باسرائيل فانها لن ترفض ذلك ولا سيما إذا أجزلتم لها القرض بكل كرم وسخاء .

الرئيس : طبعاً طبعاً يامستر كوهين . . هذا شرط لا جدال فيه .

الانجليزى : وانجلترا ياسيدى الرئيس ؟

الرئيس : حسبها أننا سنضمن لها البقاء فى الوجود !

اليهودى : وسيبقى لها أيضاً لقب « بريطانيا العظمى » !

الرئيس : اجل . . ثق يامستر جونبول أننا لن نجرّد دولتك من هذا اللقب

الانجليزى : ماذا نصنع بهذا اللقب ياسيدى الرئيس ؟

الرئيس : اصنعوا به ما تشاؤون .. خوّفوا به من لا يزال يخافكم من زنوج افريقيا الاستوائية !

الانجليزى : حتى هذا اللقب ياسيدى الرئيس سيطير منا إذا لم تداركه أنت بعطفك ومعونتك .

الرئيس : كلا لن يطير منكم هذا اللقب أبداً حتى ولو ماتت دولتكم فعلا فسندعوها يومئذ : « المرحومة بريطانيا العظمى » !

« ستـــــار »

الأســـتاذ على احمد باكثـــير

- اخناتون ونفرتيتى
- ســـلامة القس
- وا اسلاماه
- قصر الهودج
- الفرعون الموعود
- شيلوك الجديد
- عودة الفردوس
- روميو وجولييت
  (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
- سر الحاكم بأمر الله
- ليـــلة النهـــر
- السلسلة والغفران
- الثائر الأحمر
- الدكتور حازم
- ابو دلامة (مضحك الخليفة)
- مسمار جحـــا
- مأســـاة أوديب
- سر شهرزاد
- سيرة شـــجاع
- شعب الله المختار
- امبراطورية فى المزاد
- الدنيا فوضى

- اوزوريس
- فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية
- دار ابن لقمان
- قطط وفيران
- هاروت وماروت
- جلفدان هانم
- الفلاح الفصيح
- حبل الغسيل
- هكذا لقى الله عمر

الاستاذ عبد الستار فراج

- انتصار المنصورة

الاستاذ اسماعيل ولى الدين

- النجوم تبكى ايضا
- طائر لسمه الحب
- الاستاذ (بالاشتراك مع الاستاذ كمال الملاخ)

الأستاذ احسان عبد القدوس

- صانع الحب وبائع الحب
- انا حرة
- الطريق المسدود
- اين عمرى
- النظارة السوداء
- فى بيتنا رجل
- لا أنام
- منتهى الحب
- لا تطفىء الشمس (جزء أول)
- لا تطفىء الشمس (جزء ثان)
- شىء فى صدرى
- زوجة أحمد
- البنات والصيف
- لا شىء يهم
- انف وثلاث عيون (جزء أول)
- انف وثلاث عيون (جزء ثان)
- شفتاه
- لا .. ليس جسدك
- عقلى وقلبى
- بئر الحرمان
- علبة من صفيح
- ثقوب فى الثوب الأسود
- بنت السلطان

ـ سيدة فى خدمتك
ـ نساء لهن أسنان بيضاء
ـ لا استطيع ان افكر وانا ارقص
ـ الوسادة الخالية
ـ دمى ودموعى وابتسامتى
ـ الراقصة والسياسى
ـ حتى لا يطير الدخان
ـ العذراء والشعر الأبيض
ـ ونسيت انى امرأة
ـ الهزيمة كان اسمها فاطمة
ـ لا تتركونى هنا وحدى
ـ الحياة فوق الضباب
ـ آسف لم أعد أستطيع

الأستاذ الدكتور نبيل راغب

قاص موهوب يسر « **مكتبة مصر** » أن تنشر انتاجه

ـ توابل الحب
ـ جبروت امرأة
ـ سور الأزبكية
ـ سوق الجوارى
ـ الجيل الضائع
ـ عصر الحريم
ـ غرام الأفاعى
ـ المذاهب الأدبية
ـ قلعة الكبش

للأستاذ عبد الحميد جوده السحار

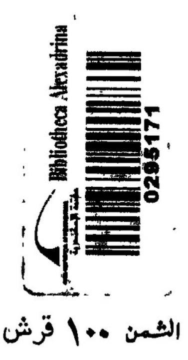
قصة الاسلام منذ أيام ابراهيم الخليل الى أن لحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى . وقد كتب المؤلف الحقائق التاريخية فى اسلوب قصصى أخاذ .

وفى هذه الأجزاء يستقصى المؤلف تاريخ العرب قبل الاسلام ، وكتب لأول مرة تاريخ العرب ما بين ابراهيم ونشأة العدنانيين ، معتمدا على ما كشفت عنه الحفريات الأخيرة فى بلاد العراق وسورية وأرض العرب ، وهى حقبة لم يتعرض لها الاخباريون ولا المؤرخون الاسلاميون .

١ — ابراهيم ابو الانبياء
٢ — هاجر المصرية أم العرب
٣ — بنو اسماعيل
٤ — العدنانيون
٥ — قريش
٦ — مولد الرسول
٧ — اليتيم
٨ — خديجة بنت خويلد
٩ — دعوة ابراهيم
١٠ — عام الحزن
١١ — الهجرة
١٢ — غزوة بدر
١٣ — غزوة احد
١٤ — غزوة الخندق
١٥ — صلح الحديبية
١٦ — فتح مكة
١٧ — غزوة تبوك
١٨ — عام الوفود
١٩ — حجة الوداع
٢٠ — وفاة الرسول

رقم الإيداع ١٥١٢ — ٨٥
الترقيم الدولى ٣ — ٠١٣٢ — ١١ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



الثمن ١٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه